دلالة الأسَدِ في شعر المديحِ
البُحْتريُّ والمُتَنبي
أنموذجًا
(رؤية فنية)

م.د. زياد عبد الرزاق إسماعيل

Zaide AbduLrazzaq

zi197997@gmail.com

جامعة الانبار / رئاسة الجامعة /المكتبة المركزية

كانت العرب تقدر الاسد رغم بطشة وتهديده الانسان ويرونه رمزاً للشجاعة والبطولة خصوصا وان الشجاعة من ابرز الصفات واحبها الى الشخصية العربية والتي يجب ان تبقى صفاته ملازمة له حتى بعد مماته ، حتى اراد الرجل ان يختزل صفات الشجاعة للرجال دون النساء .

وبطبيعة الحياة الصحراوية فقد تاثرت الشخصية العربية بما حوله من معالمها والتي كان للاسد نصيبا منها فاستعار اغلب صفات الاسد ووظفها للشجاعة والقوة وكان من ابرز هولاء الشعراء

البحتري والمتنبي

Arabs revered the lion despite its ferocity and threat to humans, seeing it as a symbol of courage and heroism, especially since bravery is one of the most cherished traits in Arab culture, which should remain inherent even after death. Even a man wanted to condense bravery traits exclusively to men excluding women. The Arabian desert lifestyle influenced Arab personalities, with the lion borrowing many of its traits for courage and strength, as exemplified by poets like Al-Buhturi and Al-Mutanabbi.

التمهيد:

الشجاعة صفة إنسانية ترفع من قدر من يتسم بها, وهي مما فخر بها العربي على مدار تاريخه, "فالشَّجَاعَةُ: شِدَّةُ الْقَلْبِ عِنْدَ الْبَأْسِ, وَقَدْ (شَجُعَ) الرَّجُلُ مِنْ بَابِ ظَرُفَ فَهُوَ (شُجَاعٌ), وَامْرَأَةٌ (شُجَاعَةٌ), وقيل: لَا تُوصَفُ بِهِ الْمَرْأَةُ[1], فهي صفة تغلب على الرجال, وبطبيعة الحياة العربية القديمة تأثر العربي بما حوله من طبيعة وبيئة وحيوانات, فاستعار منها صفات لرفع القدر والمدح, أو للتقليل من الشأن والهجاء, ومن أمثلة ذلك قول الشاعر في هجاء الحجاج: [2]

دلالة الأسَدِ في شعر المديحِ البُحْتريُّ والمُتَنبي أنموذجًا(رؤية فنية)

م.د. زياد عبد الرزاق إسماعيل

أَســـــدٌ عَلَـــــيَّ وَفـــــي الحُـــــروبِ نَعامَـــــةٌ

رَبـــــداءُ تجفـــــلُ مِـــــن صَـــــفيرِ الصـــــافِرِ

فهو, أي: الحَجّاج, شجاعٌ كالأسد على من هو في قبضته, بينما يكون جبانًا كالنعامة إذا وُجِد في حرب.
والأمثلة كثيرة في هذه المعاني المستمدة من صفات الحيوانات والطيور, ووصف الإنسان بها من شجاعة, وجبن, وقوة وضعف, وشدة ورقة, وعنف ولين, وسرعة وبطء, إلى آخر تلك الصفات التي يشترك فيها الإنسان وغيره من المخلوقات.
وفي هذه الدراسة يتناول الباحث توظيف الأسد في المديح – كمظهر لشجاعة الممدوح وإقدامه – إذ ينازل أشد الوحوش شراسةً بقلب ثابت, ومهارة قتالية فائقة, ومنازلةٍ لا يستطيعها إلا فارس خارق القوة لا يهاب الموت, وذلك من خلال نصين في المديح, لشاعرين من أكبر شعراء العربية هما: البحتري, والمتنبي, وسيأتي التعريف بهما في سياق البحث, وهما أشهر مِن أن يُعَرَّف بهما.
والنصان مشهوران في الشعر العربي, وقد تناولهما كثيرٌ من الباحثين قديمًا وحديثًا[3], ولكن تركَّز التناول في أغلبه على الوصف العام للمنازلة عند كليهما, ووصف الأسدين, ورد فعل الممدوحين تجاههما, وكيفية التغلب عليهما, وقصَّرت الدراسات معظمُها في التناول التحليلي الفني للنصين, كما قصرت عن الهدف الرئيس لكلا النصين, وهو المديح, إذ التساؤل الذي يطرح نفسه: هل كان هدف كلا الشاعرين وصف الأسد عند كليهما؟ أم كان الهدف هو توظيف الأسد – في معركته مع الممدوح في كلا النصين – في المدح الذي هو غاية كلا الشاعرين, من أجل الحظوة والمال, وما مدى أثر ذلك في الواقعية والخيال والمبالغة والصدق! وهو ما رأى الباحث أن يُسهم به في تناوله لهذين النصين الخالدين في الشعر العربي.
ويتكون البحث من:

- التمهيد.
- الأسد في التراث الشعري العربي.
- الأسد في اللغة.
- التعريف بالشاعرين.
- مناسبة النصين, والتعريف بالممدوحَيْن.
- تناول النصين بالدراسة الفنية التحليلية
- خلاصة البحث.

الأسد في التراث الشعري:

كانت العرب تقدر الأسد – رغم بطشه وتهديده للإنسان – ويرونه رمزًا للشجاعة والبطولة, يقول زهير بن أبي سُلْمى[4]:

لَـــــدَى أَسَـــــدٍ شَـــــاكِي السّـــــلاحِ مُقَـــــذَّفِ

لَـــــــهُ لِبَـــــــدٌ أَظْفَـــــــارُهُ لَـــــــمْ تُقَلَّـــــــمِ

جَـــــريءٍ متـــــى يُظْلَـــــمْ يُعاقِـــــبْ بظُلْمِـــــهِ

سَـــــــريعًا وإلّا يُبْـــــــدَ بـــــــالظّلمِ يَظْلِـــــــمِ

فهو يشبه ممدوحه بالأسد, يقول: عند أسد تام السلاح يصلح لأن يُرمى به إلى الحروب والوقائع، يشبه أسدًا له لبدتان لم تقلّم براثنه، يريد أنه لا يعتريه ضعف ولا يعيبه عدم شوكة, كما أن الأسد لا يقلم براثنه, وهو شجاع, متى ظُلِم عاقب الظالم بظلمه سريعًا, وإن لم يظلمه أحد ظلم الناس إظهارًا لغنائه وحسن بلائه، والبيت صفة أسد في البيت الذي قبله.

ومنذ العصر الجاهلي كان للأسد مكانة عند الشعراء, فمنهم من يجعله "مُشبَّها به" للشجاع كما في بيتي زهير السابقين, أو مستعيرًا صفاته لنفسه, كما في قول عبد يغوث الحارثي[5]:

وَقَـــــد عَلِمَـــــت عَرْســـــي مُلَيكَـــــةُ أَنَّنـــــي

أَنـــــا اللَيـــــثُ مَعـــــدُوًّا عَلَـــــيَّ وَعادِيـــــا

ويصنف أحد الباحثين[6] اتجاهات الشعر الجاهلي في ذكر الأسد ثلاثةَ اتجاهات:

الأول: وفيه يكون ذكر الأسد لا يتعدى البيت أو جزءًا منه, والمقصد منه هو التشبيه, كما في الأمثلة التي ذكرناها آنفًا.

الثاني: يتعدى التشبيه به إلى وصف الأسد ذاته, في عدة أبيات, كما في شعر عروة بن الورد الذي قد تكون الصعلكة والعيش في القفار ساعدته في التعرف على هذا الحيوان ووصْفِه, فيقول[7]:

تَبَغّـــــانِيَ الأَعـــــداءُ إِمّـــــا إِلـــــى دَمٍ

وَإِمّـــــا عُـــــراضِ الســـــاعِدَينِ مُصَـــــدَّرا

يَظَـــــلُّ الإبـــــاءُ ســـــاقِطًا فَـــــوقَ مَتنِـــــهِ

لَـــــهُ العَـــــدوَةُ الأولـــــى إذا القِـــــرنُ أَصـــــحَرا

كَـــــأَنَّ خَـــــواتَ الرَعـــــدِ رِزءُ زَئيـــــرِهِ

مِـــــنَ الـــــلاءِ يَســـــكُنَّ العَـــــرينَ بِعُثَّـــــرا

وهذا الاتجاه يبدو قليلًا, وهو ما أقرَّ به المؤلف, بحيث لا يرقى إلى أن يكون اتجاهًا, وإن كان يوجد مثله عند الأعشى في قوله[8]:

مـــــــا مُشْـــــــبلٌ وَرْدُ الجبـــــــي ن مُهَـــــــرَّتُ الشِّـــــــدْقينِ باســـــــلْ

القادســـــــــــيَةُ مـــــــــــألفٌ منـــــــــه فأوديـــــــــةُ الغياطـــــــــلْ

يـــــــدعُ الوِحـــــــادَ مـــــــن الرجـــــــا لِ ويعتمـــــــي جمْـــــــعَ المحافـــــــلْ

يومًـــــــا بأصـــــــدقَ حَمْلـــــــةً منـــــــه علـــــــى البَطَـــــــل المنـــــــازِلْ

وهي أبيات يصف فيها الأعشى ممدوحه (مسروق بن وائل) وشجاعته, وحَمْله على أعدائه, فليس الأسد ذو الأشبال, مهرت (واسع) الشدقين الذي يسيطر على آجامه, ولا يهاجم الرجل الفرد, بل يهاجم الجموع لشجاعته وشدة بأسه, ليس هذا الأسد بأقوى ولا أشد من هذا البطل الذي يمدحه الأعشى.

ويمكن إضافة بيتي زهير اللذين وردا آنفًا في هذا النوع من تناول الأسد عند الجاهليين.

الثالث: أن يأتي ذكر الأسد في قصيدة كاملة, أو عدة قصائد للشاعر, متعرضًا للوصف الدقيق للأسد, شكليًّا أو معنويًّا, كما هو عند أبي زبيد الطائي الذي يعتبر من أشهر وصَّافي الأسد في الشعر العربي, ومن ذلك[9]:

عَبـــــوسٌ شَـــــموسٌ مُصـــــلَخِدٌّ مُكـــــابِرٌ

جَـــــريءٌ عَلـــــى الأَقـــــرانِ لِلقِـــــرنِ قـــــاهِرُ

مَنيـــــــعٌ وَيَحمـــــــي كُـــــــلَّ وادٍ يَرومُـــــــهُ

شَـــــديد أُصـــــول الماضِـــــغينَ مكـــــابِرُ

بَراثِنُـــــهُ شَـــــثُنٌ وَعَينـــــاهُ فـــــي الـــــدُجى

كَجَمـــرِ الغَضـــا فـــي وَجهِـــهِ الشَـــرُّ ظـــاهِرُ

يُـــــــدِلُّ بِأَنيـــــــاب حـــــــدادٍ كَأَنَّهـــــــا

إِذا قَلَّـــــصَ الأَشـــــداقَ عَنهـــــا خَنـــــاجِرُ

وقد تطور تناول الشعراء للأسد فنجد أن اتجاهًا جديدًا قد ظهر, في قصيدة نسبها بديع الزمان الهمذاني إلى بشر بن عوانة, فقال: "حدثنا عيسى بن هشام قال: كان بشر بن عوانة العبديُّ صعلوكًا .. "[10], وهناك من نسبها إلى عمرو بن معد يكرب[11]– وهو **اتجاه مقاتلة الشاعر نفسِه الأسدَ**, وهي قصيدة فريدة وشهيرة, مطلعها[12]:

أَفـــــاطِمَ لـــــو شَـــــهِدتِ بـــــبطن خَبـــــتٍ

وقـــــد لاقـــــى الهِزَبـــــرُ أخـــــاكِ بِشـــــرا

وتقع في ثلاثة وعشرين بيتًا – في بعض المصادر– وليس لها مثيل في الشعر العربي من حيث طرافةُ الموضوع, وبساطة اللغة, وجمال تصوير المشهد, وسبر أغوار النفس, لدى الشاعر والأسد, ومنها[13]:

نَصَـــــحتُكَ فـــــالتمسْ يـــــا ليـــــثُ غيـــــري

طعامًـــــا إِنَّ لحْمـــــي كـــــان مُـــــرّا

فلمّـــــا ظـــــنَّ أَنّ الغـــــشَّ نُصْـــــحي

وخـــــالَفَني كـــــأنِّي قلـــــتُ هُجـــــرا

مشـــــى ومَشَـــــيتُ مـــــن أَسَـــــدَينِ رامَـــــا

مَرَامًـــــا كـــــان إذ طَلَبَـــــاهُ وَعْـــــرا

يُكفكِـــــفُ غِيلـــــةً إحـــــدى يديـــــهِ

ويبسُـــــط للوثـــــوبِ عَلَـــــيَّ أُخـــــرى

هَـــــززتُ لـــــه الحُســـــامَ فَخِلـــــتُ أَنّـــــي

شـــــققْتُ بـــــه لـــــدى الظلْمـــــاءِ فَجْـــــرا

وَجُـــــدتُ لـــــه بطائشـــــةٍ رآهـــــا

لمـــــن كَذَبَتْـــــهُ مـــــا مَنَّتـــــهُ غَـــــدْرا

بضـــــربةِ فَيصَـــــلٍ تركتْـــــهُ شَـــــفْعًا

وكـــــان كأنَّـــــهُ الجُلمـــــودُ وِتْـــــرا

فَخَـــــرَّ مُضَـــــرَّجًا بـــــدمٍ كـــــأنِّي

هَـــــدَمتُ بـــــه بِنـــــاءً مُشـــــمَخِرّا

وقلـــــــتُ لـــــــه يَعِـــــــزُّ علـــــــيَّ أَنِّـــــــي

قَتَلْـــــــتُ مُناسِـــــــبي جَلَـــــــدًا وَقَهـــــــرا

ولكـــــــنْ رُمـــــــتَ شـــــــيئًا لـــــــم يَرُمْـــــــهُ

سِـــــواكَ فلـــــم أُطِـــــقْ يـــــا ليـــــثُ صـــــبْرا

تُحـــــــــــاولُ أَن تُعَلِّمنـــــــــــي فِـــــــــرارًا

لَعَمـــــــرُ أبـــــــي لقـــــــد حاولـــــــتَ نُكـــــــرا

فـــــــلا تَبعـــــــد لقـــــــد لاقيْـــــــتَ حُـــــــرًّا

يُحـــــــاذِرُ أن يُعـــــــابَ فَمُـــــــتَّ حُـــــــرّا

والاتجاه الأخير الذي يطل علينا هو **توظيف الأسد في المديح** في مشهد طويل في قصيدة طويلة, هدفها الأساسي هو المدح, والتكسب المادي والمعنوي, كما نراه عند البحتري ثم المتنبي, وهو موضوع البحث.

الأسد في اللغة:

مما أورده ابن منظور في مادة (أسد) في "لسانه"[14]:

الأَسد: من السباع معروف، والجمع آساد وآسُد، مثل أجبال وأجبل، وأسود وأُسْد، وأُسْدان، والأنثى أَسَدة .. وأرض مأسدة: كثيرة الأسود..

وبالنظر إلى تناول القدماء والمحدثين للأسد, يتضح اهتمام العرب في لغتهم بمفردات الأسد من: أسماء وصفات وكُنى, فالدميري يبدأ حديثه عن الحيوان بالأسد, وينقل عن ابن خالويه قوله[15]: "للأسد خمسمائة اسم وصفة", ثم يقول: "وزاد عليه عليُّ بن قاسم بن جعفر اللغوي مائة وثلاثين اسمًا فمن أشهرها: أسامة والبيهس والنآج والجخدب والحارث وحيدرة والدوّاس والرئبال وزفر والسبع والصَّعب والضّرغام والضّيغم والطيثار والعنبس والغضنفر والفرافصة والقسورة وكهمس والليث والمتأنّس والمتهيّب والهرماس والورد, وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمَّى, ومن كُنَاه أبو الأبطال وأبو حفص وأبو الأخياف وأبو الزعفران وأبو شبل وأبو العباس وأبو الحارث".

وإن كان ابن خالويه يؤكد في كتابه (أسماء الأسد) أن ما ذكره هو من أسماء الأسد لا يوجد غيره, فيقول: "ليس في جميع كلام العرب, وكتب اللغة, من أسماء الأسد إلا ما قد كتبتُه لك, فاعرف ذلك"[16]

ويعلل الدميري ابتداءه بالأسد بقوله: "إنما ابتدأنا به لأنه أشرف الحيوان المتوحش؛ إذ منزلته منها منزلة الملك المهاب، لقوته وشجاعته وقساوته وشهامته وجهامته وشراسة خلقه، ولذلك يضرب به المثل في القوّة والنجدة والبسالة وشدّة الإقدام والجراءة والصّولة".

ويذكر من صفاته وأخلاقه, فيقول[17]: "وللأسد من الصبر على الجوع، وقلة الحاجة إلى الماء، ما ليس لغيره من السباع. ومن شرف نفسه: أنه لا يأكل من فريسة غيره، فإذا شبع من فريسته تركها، ولم يعد إليها، وإذا جاع ساءت أخلاقه، وإذا امتلأ من الطعام ارتاض، ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب, وقد أشار إلى ذلك الشاعر بقوله:

وأتـــــرك حبَّهـــــا مـــــن غيْـــــرِ بُغْـــــضٍ

وذاك لكثـــــــــــرةِ الشـــــــــــركاءِ فيـــــــــــهِ

إذا وقـــــــعَ الـــــــذبابُ علـــــــى طعـــــــامٍ

رفعـــــــتُ يـــــــدي ونفســـــــي تشـــــــتهيهِ

وتجتنـــــــــــبُ الأســـــــــــودُ ورودَ مـــــــــــاءٍ

إذا كـــــــــان الكـــــــــلابُ ولغْـــــــــنَ فيـــــــــهِ

ومن المؤلفات الحديثة كتاب (معجم أسماء الأسد)[18] تأليف هزاع بن عيد الشمّري, وجمع فيه أكثر من ثمانمائة اسم من أمهات الكتب والمعاجم, ورتبها حسب حروف المعجم, وقام بشرح تلك الأسماء بإيجاز, وهو مجهود كبير وشامل في بابه.

التعريف بالشاعرين:

كما سبق في التمهيد أن البحتري والمتنبي أشهر من أن يُعرّف بهما, ولكنَّ مقتضيات البحث تلزم الباحث بإشارات مهمة لكليهما, ونلتزم بالترتيب الزمني:

- **البحتري:**

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحتري (نسبة إلى بحتر), وهو أحد أجداده, الشاعر المشهور، ولد بمنبج, وأقام ببغداد دهرًا طويلاً, ومدح جماعة من الخلفاء, أولهم المتوكل على الله، وخَلقًا كثيرًا من الأكابر والرؤساء, ثم عاد إلى الشام, وكان يقال لشعر البحتري: سلاسل الذهب، وهو في الطبقة العليا, ويقال إنه قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر: أبو تمام أم البحتري أم المتنبي؟ فقال: حكيمان والشاعر البحتري[19].

وقد جمع شعرَه أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف، وجمعه أيضًا علي بن حمزة الأصبهاني، ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع كما صنع بشعر أبي تمام.
وللبحتري أيضاً كتاب " الحماسة " على مثال "حماسة أبي تمام" وله كتاب "معاني الشعر": وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين، وتوفي سنة أربع وثمانين وقيل خمس وثمانين وقيل ثلاث وثمانين ومائتين.[20]

- **المتنبي:**

أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور, هو من أهل الكوفة، وقدم الشام في صباه وجال في أقطاره، واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها, ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة، ومدح كافورًا الإخشيدي وأنوجور ابن الإخشيد, وقصد بلاد فارس، ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي.
ومولده كان في سنة ثلاث وثلاثمئة بالكوفة في محلة تسمى كندة فنسب إليها، وليس هو من كندة التي هي قبيلة، بل هو جُعْفيٌّ القبيلة, وقُتِل في طريق عودته من بلاد فارس قاصدًا الكوفة, في أواخر شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.
ويشترك الشاعران في عدة أمور, ويختلفان في أمور أخرى, فمما يشتركان فيه:
أنهما من كبار شعراء العربية, وأنهما من الرحَّالة خلال عمريْهما بحثًا عن المال والشهرة والحظوة لدى الخلفاء والأمراء والحكام, والكبار من وزراء وأثرياء, وذلك عن طريق المدح.
ويشتركان في أن كليهما نالا الإطراء والإعجاب, كما نالهما الهجاء, فابن الرومي يرى البحتري سارقًا لشعر أبي تمام, فقال[21]:

والفتـــــــى البحتـــــــريُّ يســـــــرق مـــــــا قـــــــا

ل ابـــــــن أوسٍ فـــــــي المـــــــدح والتشـــــــبيبِ

كـــــــلُّ بيـــــــتٍ لـــــــه يجـــــــودُ معنـــــــا

هـ فمعنـــــــاهُ لابـــــــنِ أوسٍ حبيـــــــبِ

والمتنبي ناله الهجاء من بعض الشعراء حيث قال[22]:

أيُّ فضـــــــلٍ لشـــــــاعرٍ يطلـــــــبُ الفضـــــــ

ـــــــلَ مـــــــن النـــــــاسِ بكـــــــرةً وعشـــــــيّا

عـــــاشَ حينًـــــا يبيـــــعُ فـــــي الكوفـــــةِ المـــــا

ءَ، وحينًـــــــا يبيـــــــعُ مـــــــاءَ المُحيَّـــــــا

ويشتركان كذلك في الاعتزاز الشديد بشعريْهما: فالبحتري كان يعتز بشعره ويستحسنه, ويريد أن يرى أثر الاستحسان على السامعين, رغم سوء إنشاده الشعر, فقيل: "كان البحتري من أبغض الناس إنشادًا, يتشدق ويتزاور في مشيته مرة جانبًا ومرة القهقرى, ويهز رأسه ومنكبيه, ويشير بكُمه ويقف عند كل بيت, ويقول: أحسنتُ والله, ثم يقبل على المستعين ويقول ما لكم لا تقولون لي أحسنتَ هذا والله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله[23].

والمتنبي كان شديد الفخر بشعره وموهبته الفذة, وما أشهر قوله[24]:

ســـــيَعلَمُ الجمـــــعُ ممَّـــــن ضـــــمَّ مَجلسُـــــنا

بـــــأنَّني خيـــــرُ مَـــــن تســـــعى بـــــهِ قَـــــدَمُ

أنـــــا الـــــذي نظَـــــر الأعمـــــى إلـــــى أدبـــــي

وأسْـــــمعَت كلمـــــاتي مَـــــن بـــــهِ صَـــــمَمُ

أنـــــامُ مِـــــلْءَ جُفُـــــوني عـــــن شـــــوارِدِها

ويَسْـــــهَرُ الخلـــــقُ جرَّاهـــــا وَيَختَصِـــــمُ

ويختلفان في أمور فنية, تلخصها قولة أبي العلاء التي أوردناه منذ قليل, عندما سُئل: أي الثلاثة أشعر، أبو تمام أم البحتري أم المتنبي فقال: أبو تمام والمتنبي حكيمان والشاعر البحتري, ويختلفان – بالطبع – في

أمور شخصية, إذْ طبيعة كل منهما تستقل بأمور خاصة بها, ويوضح ابن الأثير طبيعة كل شاعر منهما, فيقول:

" وأما أبو عبادة البحتري فإنه أحسن في سبك الألفاظ على المعنى، وأراد أن يُشْعر فغنَّى، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق، فبينا هو في شظَف نجد؛ إذ تشبَّث بريف العراق .. فإن أبا عبادة أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء، في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء، فأدرك بذلك بعد المرام، مع قربه إلى الأفهام، وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بأخلاطه الغالية، ورَقِي في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية"[25].

وهي كلمة نقدية بليغة في طبيعة الرقة والسلاسة والموسيقى التي تميز بها شعر البحتري.

ويقول عن المتنبي:

" وأما أبو الطيب المتنبي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام، فقصرت عنه خطاه، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه، لكنه حظِي في شعره بالحِكَم والأمثال، واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال، وأنا أقول قولًا لست فيه متأثمًا، ولا منه متلثمًا، وذاك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نِصالها، وأشجع من أبطالها، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها، حتى تظن الفريقين قد تقابلا, والسلاحين قد تواصلا، فطريقه في ذلك تضل بسالكه، وتقوم بعذر تاركه، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة بن حمدان، فيصف لسانه ما أدّى إليه عيانه"[26].

ويعلق الدكتور الحوفي[27] على كلام ابن الأثير: " ولا شكّ في أن ضياء الدين كان صادقًا في كل وصف من تلك الأوصاف، التي آثر بها كل شاعر من أولئك الفحول، ولا يكاد يشك ناقد من النقاد في صحة ما ذكر من نعوت الشعر عند كل واحد منهم"[28].

وقد يكون ابن الأثير منحازًا بعض الشيء لأبي تمام, أو هو أشد إعجابًا به من المتنبي, وشايعه في كلامه العلامة د. أحمد الحوفي, ولكن يظل في نفس الباحث شيءٌ من هذا الرأي, ولكن اتجاه البحث نحو موضوع محدد, يجعل الباحث يسجل قدرًا من عدم الموافقة على هذا الرأي, فالمتنبي لم تقصر خطاه في أي غرض من أغراض الشعر, بل تظهر ذاته وشخصيته في شعره بما لم يستطعه شاعر آخر, كما أن أبا تمام كان لا يقل عن المتنبي فيما وصف من معارك, وما جاء في شعره من حكم وأمثال, ولكن بأسلوب يختلف عما نجده عند المتنبي.

فنحن أمام مدرستين شعريتين (البحتري والمتنبي), إحداهما تسبق الأخرى بنحو قرن من الزمان, إنهما: مدرسة الرقة للبحتري, ومدرسة الحكمة للمتنبي.

مناسبة النصين, والتعريف بالممدوحين:

أولاً: نص البحتري:

يحتل غرض المدح مساحة كبيرة في شعر البحتري, والقصيدة التي ورد فيها وصف المعركة بين الفتح بن خاقان[29] والأسد, هي قصيدة غرضها مدح الفتح, حتى إن القصيدة في الديوان المرتب "ألفبائيًا" تسبقها قصيدة في مدح الفتح, مطلعها:

بِنـــــا أَنـــــتِ مِـــــن مَجفـــــوَّةٍ لَـــــم تُعَتَّـــــبِ

وَمَعـــــــذورَةٍ فـــــي هَجرِهـــــا لَـــــم تُؤَنَّـــــبِ

وفيها يقول عن الفتح[30]:

يُبَلِّغُنـــــــي الفَـــــتحَ بـــــنَ خاقـــــانَ إِنَّـــــهُ

نِهايَـــــــةُ آمـــــــالي وَغايَـــــــةُ مَطلَبـــــــي

فَتـــــــىً لا يَـــــــرى أُكرومَـــــــــةً لِمُزَنَّـــــــــدٍ

إذا ما بَدا أُكـرومَةً لَم يُعَقِّبِ

ثم تأتي قصيدته التي قالها في واقعة الأسد, ثم يتبعها بقصيدة يعبر بها عن قلقه لعلمه بعِلَّة قد أصابت الفتح ممدوحه السخي, مطلعها[31]:

تَخَطّـــــــى اللَيـــــــالي مَعشَـــــــراً لا تُعِلُّهُـــــــم

بِشَـــــــكوٍ وَيَعتَـــــــلُّ الأَميـــــــرُ وَكاتِبُـــــــه

والبحتري كان مدركًا لمكانة الفتح عند المتوكل, فلما نجا الفتح من حادثة غرق, توجه البحتري إلى المتوكل بالتهنئة لنجاة الفتح, فقال[32]:

لَتَهنِـــــــئْ أَميـــــــرَ المُـــــــؤمِنينَ عَطِيَّـــــــةٌ

مِـــــــنَ اللهِ يَزكـــــــو نَيلُهـــــــا وَيَطيـــــــبُ

يَـــــــدُ اللهِ فـــــــي فَـــــــتحٍ إِلَيـــــــكَ جَميلَـــــــةٌ

وَإِنعامُـــــــهُ فيـــــــهِ عَلَيـــــــكَ عَجيـــــــبُ

وَلِيُّـــــــكَ دونَ الأَولِيـــــــاءِ مَحَبَّـــــــةً

وَمَـــــــولاكَ وَالمَـــــــولى الصَـــــــريحُ نَســـــــيبُ

أما عن النص الذي تتناوله الدراسة, فهو يبلغ أربعة وأربعين بيتًا[33], ومطلعه:

أَجِـــــــدَّكَ مـــــــا يَنفَـــــــكُّ يَســـــــري لِزَينَبـــــــا

خَيـــــــــــالٌ إِذا آبَ الظَـــــــــــــلامُ تَأَوَّبـــــــــــا

سَـــــرى مِـــــن أَعـــــالي الشـــــامِ يَجلُبُـــــهُ الكَـــــرى

هُبـــــوبَ نَســـــيمِ الـــــرَوضِ تَجلُبُـــــهُ الصَـــــبا

وَمـــــــا زارَنـــــــي إِلّا وَلِهـــــــتُ صَـــــــبابَةً

إِلَيـــــــهِ وَإِلّا قُلـــــــتُ أَهـــــــلاً وَمَرحَبـــــــا

والأبيات العشرة الأولى مفتتح غزلي, فيه رقة وعذوبة, ثم يتخلص إلى مدح الفتح تخلصًا سهلًا خاليًا من التعسف, بقوله:

أَقـــــــولُ لِرَكـــــــبٍ مُعتَفـــــــينَ تَـــــــدَرَّعوا

عَلـــــى عَجَـــــلٍ قِطعًـــــا مِـــــنَ اللَيـــــلِ غَيهَبـــــا

رِدوا نائِـــــلَ الفَـــــتحِ بـــــنِ خاقـــــانَ إِنَّـــــهُ

أَعَـــــمُّ نَـــــدىً فـــــيكُم وَأَقـــــرَبُ مَطلَبـــــا

ويشمل هذا المقطع أربعة عشر بيتًا, يأتي منها البيتان الأخيران تمهيدًا لوقْعة الأسد, إذ قال:

وَمـــــــا نَقَـــــــمَ الحُسّـــــــادُ إِلّا أَصـــــــالَةً

لَـــــــدَيكَ وَفِعـــــــلاً أَريَحِيًّـــــــا مُهَـــــــذَّبا

وَقَـــــــد جَرَّبـــــــوا بِـــــــالأَمسِ مِنـــــــكَ عَزيمَـــــــةً

فَضَـــــــلتَ بِهـــــــا السَـــــــيفَ الحُســـــــامَ المُجَرَّبـــــــا

غَـــــــداةَ لَقيـــــــتَ اللَيـــــــثَ وَاللَيـــــــثُ مُخـــــــدِرٌ

يُحَـــــــــدِّدُ نابًـــــــــا لِلِّقـــــــــاءِ وَمَخلَبـــــــــا

ويصف المعركة بين الفتح والأسد في خمسة عشر بيتًا, وهو المقطع الذي سيتناوله البحث بالدراسة الفنية. وفي خمسة الأبيات الأخيرة يذكر فضل الفتح عليه, وكأنه يريد أن يقول إنه يستحق ما سبق أن قلت فيه من المديح.

ثانيًا: نص المتنبي:

هو نص من نصوص كثيرة مدح بها المتنبي بدر بن عمار, وهي قصائد: منها الطويلة, ومنها المقطعات القصيرة, وتأتي قصيدته تلك التي يذكر فيها واقعة الأسد مع بدر بن عمار درة هذه القصائد, ومطلعها:

فـــــــي الخَـــــــدِّ أَن عَـــــــزَمَ الخَلـــــــيطُ رَحـــــــيلاً

مَطَـــــــرٌ تَزيـــــــدُ بِـــــــهِ الخُـــــــدُودُ مُحـــــــولا

فمن هو بدر بن عمار ذلك الممدوح الذي نال المجد بمدائح المتنبي؟

في شرحه ديوانَ أبي الطيب المتنبي الذي سماه "معجز أحمد" يجعل أبو العلاء المعري قسمًا سماه " قصائد بدر بن عمار" بدأه بالقصيدة التي مطلعها:

أَحُلمًـــــــا نَـــــــرى أَم زَمانًـــــــا جَديـــــــدًا

أَمِ الخَلـــــــقُ فـــــــي شَـــــــخصِ حَـــــــيٍّ أُعيـــــــدا

وقال في تقديمها: "وقال يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي الطبرستاني وهو يومئذٍ على حرب طبرية من قبل أبي بكر[34] محمد بن رائق .."[35]

واستمر المتنبي بجوار بدر نحو خمس سنوات, فقد "بقي المتنبي في جوار بدر وفي مجلسه من أواخر سنة 328هـ إلى أوائل سنة 333هـ على وجه التقريب"[36]

فنحن أمام قائد عسكري, نال ثقة كبار قواد الدولة, خاض الحروب, واتسم بالشجاعة والمقدرة القتالية, وإلى منزلته تلك أشار المتنبي بقوله[37]:

تُهَنّـــــــا بِصُـــــــورٍ أَم نُهَنِّئُهـــــــا بِكَـــــــا

وَقَـــــلَّ الَّـــــذي صـــــورٌ وَأَنـــــتَ لَـــــهُ لَكـــــا

وَمـــــــا صَـــــــغُرَ الأُرْدُنُّ وَالســـــــاحِلُ الَّـــــــذي

حُبيـــــتَ بِـــــهِ إِلّا إِلـــــى جَنـــــبِ قَـــــدرِكا

تَحاسَـــــــدَتِ البُلـــــــدانُ حَتّـــــى لَـــــوَ انَّهـــــا

نُفـــــوسٌ لَســـــارَ الشَـــــرقُ وَالغَـــــربُ نَحوَكـــــا

وَأَصـــــــبَحَ مِصـــــــرٌ لا تَكـــــــونُ أَميـــــــرَهُ

وَلَـــــو أَنَّـــــهُ ذو مُقلَـــــةٍ وَفَـــــمٍ بَكـــــى

ويذكر ياقوت الحموي في معجمه الأبيات السابقة ومناسبتها, فيقول: "وقال المتنبي يمدح بدر بن عمّار، وكان قد ولي ثغور الأردن والساحل من قبل أبي بكر محمد بن رائق"[38] ... ويذكر الأبيات.

أما عن مناسبة القصيدة محل الدراسة, فيذكر المعري:

".. وخرج بدر بن عمارٍ إلى أسدٍ، فهرب الأسد منه, وكان خرج قبله إلى أسد آخر فهاجه عن بقرةٍ افترسها، بعد أن شبع وثقل، فوثب على كفل فرسه، فأعجله عن استلال سيفه، فضربه بسوطه، ودار الجيش به فقُتِل.."[39]

أما النص فيبلغ تسعة وأربعين بيتًا, ومطلعه:

فـــــــي الخَـــــــدِّ أَن عَـــــــزَمَ الخَلـــــــيطُ رَحـــــــيلاً

مَطَـــــــرٌ تَزيـــــــدُ بِـــــــهِ الخُـــــــدُودُ مُحـــــــولا

بدأ المتنبي بمفتتح من ثمانية أبيات وشطر بيت, يمزج فيها بين الغزل وألم الفراق في عبقرية يتفرد بها, ويأتي تخلصه من هذا المفتتح إلى غرضه الرئيس, وهو مدح بدر بن عمار, تخلصًا مدهشًا , إذ – وهو يتحدث عن حدق النساء الساحرات حتى الشطر الأول من البيت التاسع – يفاجئ المتلقي لإدخال بدر بن عمار إلى بَهْو النص, وكأنه استمرار للجمال وصوره التي عرضها لمحبوبته, فقال:

حَـــــدَقُ الحِســـــانِ مِـــــنَ الغَـــــواني هِجْـــــنَ لـــــي

يَـــــــــومَ الفِـــــــــراقِ صَـــــــــبابَةً وَغَلـــــــــيلا

حَـــــــدَقٌ يُـــــــذِمُّ مِـــــــنَ القَواتِـــــــلِ غَيرَهـــــــا

بَـــــــدرُ بـــــــنُ عَمّـــــــارِ بـــــــنِ إِســـــــماعيلا

ويبدأ في مدح بدر من الشطر الثاني للبيت التاسع, خلال سبعة أبيات ونصف, يصف في نهايتها سيف بدر, ويجعل منه متكأً لوصف المعركة بينه وبين الأسد, في ترابط مذهل, واقتدار شعري يندر من يستطيعه كالمتنبي, فيقول:

رَقَّـــــــــت مَضـــــــــارِبُهُ فَهُـــــــــنَّ كَأَنَّمـــــــــا

يُبـــــــدينَ مِـــــــن عِشـــــــقِ الرِقـــــــابِ نُحـــــــولا

أَمُعَفِّـــــــــرَ اللَيـــــــــثِ الهِزَبـــــــــرِ بِسَـــــــــوطِهِ

لِمَـــــــــنِ اِدَّخَـــــــــرتَ الصـــــــــارِمَ المَصـــــــــقولا

ويصف المعركة البدرية الأسدية, ويصف الأسد خلال سبعة وعشرين بيتًا, وهو المقطع موضوع دراستنا, ويختتم القصيدة بأبيات ستة لا تخلو من المبالغة, وكأنها قرع طبول وأصوات "كورال" لختام غنائية النص.

الرؤية الفنية لتوظيف الأسد في المدح عند البحتري:

قال البحتري في وصف المعركة بين الفتح بن خاقان والأسد:

غَـــــــداةَ لَقيـــــــتَ اللَيـــــــثَ وَاللَيـــــــثُ مُخـــــــدِرٌ

يُحَـــــــــدِّدُ نابًـــــــــا لِلِّقـــــــــاءِ وَمَخلَبـــــــــا

يُحَصِّـــــــــنُهُ مِـــــــن نَهـــــــرِ نَيـــــــزَكَ مَعقِـــــــلٌ

مَنيـــــــــعٌ تَســـــــــامى غابُـــــــــهُ وَتَأَشَّـــــــــبا

يَـــــــــرودُ مَغـــــــــارًا بِـــــــــالظَواهِرِ مُكثِبـــــــــا

وَيَحتَـــــــــلُّ رَوضًـــــــــا بِالأَبـــــــــاطِحِ مُعشِـــــــــبا

يُلاعِـــــــــبُ فيـــــــــهِ أُقحُوانًـــــــــا مُفَضَّضًـــــــــا

يَـــــــــبِصُّ وَحَوذانًـــــــــا عَلـــــــــى المـــــــــاءِ مُـــــــــذهَبا

إِذا شـــــــــاءَ غـــــــــادى عانَـــــــــةً أَو عَـــــــــدا عَلـــــــــى

عَقائِـــــــــلِ سِـــــــــربٍ أَو تَقَـــــــــنَّصَ رَبرَبـــــــــا

يَجُـــــــــرُّ إِلـــــــــى أَشـــــــــبالِهِ كُـــــــــلَّ شـــــــــارِقٍ

عَبيطًـــــــــا مُـــــــــدَمًّى أَو رَمـــــــــيلاً مُخَضَّـــــــــبا

وَمَـــــــن يَبـــــــغِ ظُلمًـــــــا فـــــــي حَريمِـــــــكَ يَنصَـــــــرِف

إِلـــــــى تَلَـــــــفٍ أَو يُـــــــثنَ خَزيـــــــانَ أَخيَبـــــــا

شَـــــــهِدتُ لَقَـــــــد أَنصَـــــــفتَهُ يَـــــــومَ تَنبَـــــــري

لـــــــه مُصـــــــلِتًا عَضـــــــبًا مِـــــــنَ البـــــــيضِ مِقضَـــــــبا

فَلَـــــــــم أَرَ ضِـــــــــرغامَينِ أَصـــــــــدَقَ مِنكُمـــــــــا

عِراكًـــــــــا إِذا الهَيّابَـــــــــةُ الـــــــــنِكْسُ كَـــــــــذَّبا

هِزَبـــــــــرٌ مَشـــــــــى يَبغـــــــــي هِزَبـــــــــرًا وَأَغلَـــــــــبٌ

مِـــــــنَ القَـــــــومِ يَغشـــــــى باسِـــــــلَ الوَجـــــــهِ أَغلَبـــــــا

أَدَلَّ بِشَـــــــــــغبٍ ثُـــــــــمَّ هالَتـــــــــهُ صَـــــــــولَةٌ

رَآكَ لَهـــــــــا أَمضـــــــــى جَنانًـــــــــا وَأَشـــــــــغَبا

فَـــــأَحجَمَ لَمّـــــا لَـــــم يَجِـــــد فيـــــكَ مَطمَعًـــــا

وَأَقـــــدَمَ لَمّـــــا لَـــــم يَجِـــــدْ عَنـــــكَ مَهرَبـــــا

فَلَـــــــــم يُغْنِـــــــــهِ أَن كَـــــــــرَّ نَحـــــــــوَكَ مُقـــــــــبِلاً

وَلَـــــــم يُنْجِـــــــهِ أَنْ حـــــــادَ عَنـــــــكَ مُنَكِّبـــــــا

حَمَلـــــــتَ عَلَيـــــــهِ السَـــــــيفَ لا عَزمُـــــــكَ اِنثَنـــــــى

وَلا يَـــــــــدُكَ اِرتَـــــــــدَّت وَلا حَـــــــــدُّهُ نَبـــــــــا

وَكُنـــــــتَ مَتـــــــى تَجمَـــــــعْ يَمينَيـــــــكَ تَهتِـــــــكِ الـــــــ

ضَـــــــــريبَةَ أَو لا تُبـــــــــقِ لِلسَـــــــــيفِ مَضـــــــــرِبا

يرجع تاريخ القصيدة إلى سنة 246هـ, وقد وقعت هذه المبارزة في حير الحيوان الذي أنشأه المتوكل[40], وقد وصف البحتري البركة وحير الحيوان في قصيدة مطلعها:

ميلـــــوا إِلـــــى الـــــدارِ مِـــــن لَيلـــــى نُحَيِّيهـــــا

نَعَـــــمْ وَنَســـــأَلُها عَـــــن بَعـــــضِ أَهليهـــــا

وهي قصيدة من روائع البحتري, إذ يقول ابن المعتز: "لو لم يكن للبحتري من الشعر إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى .. وقصيدته في وصف البركة واعتذاراته في قصائده إلى الفتح بن خاقان .. (وذكر عدة قصائد أخرى) .. لكان أشعر الناس في زمانه, فكيف إذا أضيف هذا إلى صفاء مدحه ورقة تشبيبه في قصائده[41]

إننا أمام مشهد, يتحدد فيه المكان, والزمان, والشخصيات, والأحداث, والنهاية, صوره لنا البحتري بـ"كاميرا" شعره, فلْنلِج معه صالة عرضه لنرى من خلال أبياته تلك التفاصيل المثيرة:

المكان:

هو حير الحيوان الذي أنشأه الخليفة المتوكل, فعندما آلت الخلافة العباسية الى المعتصم بالله نقل عاصمة الخلافة من بغداد الى سامراء, فشهدت حركة عمرانية متسارعة, وربما يعد حير الوحوش المعروف بالجوسق, واحدًا من أبرز هذه المعالم الحضارية, التي أمر ببنائها في هذه المدينة, فقد ضمت هذه الحديقة أصنافا عديدة من الحيوانات الأليفة والوحشية, التي كانت تصاد للمعتصم والواثق, وتودع فيها وتستأنس بالناس, كالفهود والسباع والظباء والنعام وغيرها, وقام المتوكل بعد ذلك ببناء قصر الخليفة الذي أنفق عليه مبالغ طائلة وضم البركة الحسناء؛ ثم قام بتطوير الحير المتصل بقصر الخليفة حتى سميت بحير الوحش، وكانت مُسوّرة بجدار من الطين لمسافات أبعد من الحديقة، كما كان بقربها قصر جميل لنزهة الخليفة ووزرائه وقادته وأمرائه وأسرته، وضمت أعدادًا كبيرة من الظباء والأيائل والأُسود والطيور والنعام، وزرعت بالأشجار والمغروسات ، وحفر في وسطها بركة ماء، كما تم حفر نهر النيزك لسحب المياه باتجاه حير الوحوش, وقد أشار الشاعر البحتري إلى هذا القصر والحير[42], فقال[43]:

ولـــــمْ أنْـــــسَ وَحْـــــشَ القَصْـــــرِ إذْ ريـــــعَ ســـــرْبُهُ

وإذْ ذُعِـــــــــــــرَت أطـــــــــــــلاؤه وجـــــــــــــآذرهْ

فالمكان الذي شهد المعركة بين الفتح والأسد, هو ذلك الحير الممتد الأخضر الذي أنشأه الخليفة المتوكل شرقي سامراء, يحده ذلك النهر (نيزك) وتتخلله الأشجار والغاب الملتف, وبه آلاف الحيوانات من المستأنس والوحش ..

الزمان:

هو الغداة, وهي ما بين صلاة الفجر إلى قبل طلوع الشمس, ففي اللسان:

غدا: الْغُدْوَةُ ، بِالضَّمِّ: الْبُكْرَةُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ.. وَالْغَدَاةُ: كَالْغُدْوَةِ وَجَمْعُهَا غَدَوَاتٌ[44]

فالبحتري يضع قارئه في مكان الحدث وزمانه, إذ المعركة في هذا الميدان المرعب في الصباح الباكر.

شخوص الحدث:

أسد, في خدره الملتف من الغاب يستعد للقتال والهجوم على فرائسه, واثق بقوته, (يرود) يدور ويذهب ويجيء في طلب الفريسة, صاعدًا أعالي الودية, وهابطًا نحو الأباطح في خيلاء وزهو, وفي الوقت ذاته يستمتع بالأقحوان الأبيض والحوذان (الزهر المذهب), يعدو على فرائسه متى شاء, من العانة (الحمر الوحشية) أو العقائل (كرام الإبل) أو الربرب (بقر الوحش), إنها يومياته التي اعتاد عليها كل شارق (كل صباح), إذ يصطاد فريسته ويجرها لأشباله عبيطًا (طازجة) ملطخة بالدماء, إنه وحش مخيف لا يستطيع أحد – أيًّا كان – أن يقترب من حريمه (مكان حمايته), ومن يحاول فنهايته كنهاية فرائسه اليومية.

الفتح بن خاقان, ذلك الفارس المغامر يحمل سيفه بقلب ميت, وثبات جَنان لا يؤتاه إلا من له قدرات جسدية وقتالية ونفسية خارقة, إنه لا يتجه نحو فارس مثله, إنه يتجه نحو ذلك الليث المخيف, الذي يُفزع القلوب بمجرد زمجرته, وقد يميت أصحاب القلوب الضعيفة بمجرد رؤيته من بعيد.

بعض الشهود, يلوحون من بعيد, منهم محبون مشفقون, ومنهم كارهون حاسدون, وقد أشار إليهم الشاعر بقوله:

وَمـــــــــا نَقَـــــــــمَ الحُسّـــــــــادُ إلّا أَصـــــــــالَةً

لَـــــــــدَيكَ وَفِعـــــــــلاً أَريَحِيًّـــــــــا مُهَـــــــــذَّبا

وَقَـــــــد جَرَّبـــــــوا بِـــــــالأَمسِ مِنـــــــكَ عَزيمَـــــــةً

فَضَـــــــلتَ بِهـــــــا السَـــــــيفَ الحُســـــــامَ المُجَرَّبـــــــا

ومن هؤلاء الشهود **الشاعر** الذي كان مصورًا للحدث وناقلاً له.

الحدث:

ويتمثل في الصراع الذي يبدأ سريعًا وينتهي سريعًا, من قوله:

شَـــــــهِدتُ لَقَـــــــد أَنصَـــــــفتَهُ يَـــــــومَ تَنبَـــــــري

لـــــــه مُصـــــــلِتًا عَضـــــــبًا مِـــــــنَ البـــــــيضِ مِقضَـــــــبا

فيبدأ الشاعر وصف المعركة بما يشبه (القسم) بقوله: (شهدت) لأنه يصف حدثًا يكون الشك فيه والتكذيب أكبر من اليقين والتصديق, ولذا فهو يؤكد بهذا الفعل (شهدت) ليقطع الشك الذي أورده في البيت التالي (إِذا الهَيّابَةُ النِكْسُ كَذَّبا), ويأتي الفعل (تنبري) مُظهِرًا شجاعة الفتح, لأن من البدهي في حالة تصدي وحش مخيف كالأسد لجماعة من البشر أنهم سيسارعون بالاختباء والاختفاء, ولكن هذا ليس من شيمة ذلك الممدوح الذي لا يقل شجاعة عن الأسد, بل هو أمهر قتالاً لطول مبارزته الفرسان, وتجاربه الحربية القتالية, فهو ينبري شاهرًا مُصلِتًا عَضبًا (سيفه القاطع) الذي لا يُشهره إلا عند اللحظات الحاسمة, لأن هيبته لا تجعله يشهره كل أوان, إلا في وجه ذي القوى الخارقة, ولذلك أتت براعة الشاعر في جملة (لقد أنصفته) فالممدوح منصف لغريمه الأسد, فهو يعرف قدره, ويتحسب لقوته, وهيبته, فشهر سيفه لمواجهته.

ولهول الواقعة, ودهشة المشهد لم يعد الشاعر يرى المعركة بين فارس من البشر وأسد, بل يرى أسدين ينقض كلاهما على الآخر:

فَلَـــــــم أَرَ ضِـــــــرغامَينِ أَصـــــــدَقَ مِنكُمـــــــا

عِراكًـــــــا إِذا الهَيّابَـــــــةُ الـــــــنِكْسُ كَـــــــذَّبا

هِزَبـــــــرٌ مَشـــــــى يَبغـــــــي هِزَبـــــــرًا وَأَغلَـــــــبٌ

مِـــــنَ القَـــــومِ يَغشـــــى باسِـــــلَ الوَجـــــهِ أَغلَبـــــا

فهما ضرغامان, وهما هزبران, ويكون الشاعر قد ذكر للأسد ثلاثة من أسمائه, كل اسم يعكس صفة من صفاته: (الليث) في بداية المشهد ويعطي معنى الشدة والقوة, و(الضرغام) أي الضاري, و(الهزبر) أي الأسد الكاسر[45].

فكلاهما أسد ضارٍ ضخمٌ شديد القوة, وكلاهما باسل الوجه أغلب (قوي العنق, لديه إصرار على الانتصار).

الأسد يزمجر بصوته المخيف ليبث الرعب في قلب خصمه – كما تعود أمام فرائسه – ولكنه صُدِم إذْ لم يكن مَنْ أمامه فريسةً, بل ندًّا قويًّا لديه إصرار على المواجهة, ولا يعنيه نهايتها قاتلاً أو مقتولاً, فأراد الأسد التراجع, فحلق حوله الفتح ليمنعه من الهرب, وهنا هاج الأسد, فجمع قواه وشجاعته, واستحضر إباءه وكبرياءه, واندفع اندفاعة رهيبة, في الوقت ذاته الذي كان الفتح يندفع نحوه بسيفه الباتر, وإنما هي ضربة واحدة, وبعدها صمتت الأصوات, وهدأت الجَلَبة, ولم يبق إلا أنفاس خائرة أخيرة يلفظها الأسد, وأنفاس أخرى تستقر وتهدأ.

وهنا ينتهي المشهد, وكأن الشاعر لا يريد أن يلحَّ في التفاصيل أكثر مما ذكر, لأن ممدوحه لا يحتاج إلى الدلائل على قوته الخارقة وشجاعته الفذة, ليلتفت الشاعر إلى مراده هو من الممدوح فيقول:

أَلَنـــــتَ لِـــــيَ الأَيّـــــامَ مِـــــن بَعـــــدِ قَســـــوَةٍ

وَعاتَبـــــتَ لـــــي دَهـــــري المُســـــيءَ فَأَعتَبـــــا

وَأَلبَســـــتَني النُعمـــــى الَّتـــــي غَيَّـــــرَت أَخـــــي

عَلَـــــيَّ فَأَضـــــحى نـــــازِحَ الـــــوُدِّ أَجنَبـــــا

إنه ليس ترتيبًا عشوائيًّا لأبيات القصيدة, بل هو توظيف مرتَّب واعٍ للوصول إلى المبتغى والهدف من ذكر مثل تلك المعركة الرهيبة, وهو المدح وما يترتب عليه من عطاء ومنْح, فمهما قيل من أبيات بليغة, وجمل مدحية مباشرة فلن تصل بتصور شجاعة الفتح بن خاقان كهذا المشهد (الدرامي) الذي برع فيه البحتري, فهو مشهد متحرك ذو ألوان وأصوات, فمن أفعال الحركة:

ما يخص الأسد:

أ- (يرود, يلاعب, غادى, غدا يقتنص, يجر) وهي أفعال الحركة اليومية المعتادة من الأسد, في قنصه فرائسه وجرها لأشباله, وكأنه مشهد تسجيلي عن حياة الأسد اليومية على طريقة (الفلاش باك) السينمائية.

ب- أفعال حركة المعركة (أدل, أحجم, أقدم, كر, حاد)

ما يخص الممدوح:

وهي أفعال الحدث (المعركة): وهي (تنبري, مصلتًا, حملت, تهتك), وهناك أفعال كان نفي حدوثها إيجابيًّا, دلالة على الثبات والثقة بالنفس, وهي :

انثنى, ارتدَّ, نبا, في قوله:

حَمَلـــــتَ عَلَيـــــهِ السَـــــيفَ لا عَزمُـــــكَ اِنثَنـــــى

وَلا يَـــــــدُكَ اِرتَـــــــدَّت وَلا حَـــــــدُّهُ نَبـــــــا

ويشتركان معًا – الممدوح والأسد – في: ضرغامين – عراكًا.

ومن أفعال الحركة ندرك مدى هياج الأسد وحركاته المتلاحقة, بينما يَظهر "الفتح" ثابتًا قويًّا راسخًا, وهذ ما عجّل بانتهاء المعركة سريعًا.

ومن الصور اللونية:

العشب في الظواهر والأباطح, الروض, الأقحوان, المفضض, المُذْهب, النهر, وهي صور تبرز المكان الذي دارت فيه المعركة, وهو رغم روعته وجماله وهدوئه الظاهر, إلا أن في ثناياه حياةً لا تهدأ من الصراع والافتراس والكر والفر, فلا تخلو هذه الألوان الطبيعية من التلوث بالدماء.

ومن المؤثرات الصوتية:

زمجرة السد في غضبته, وأصوات الأنفاس التي تتصاعد أثناء المعركة, ثم الهدوء الذي بدأ يسود بانتهاء المعركة.

إنه مشهد درامي استطاع البحتري أن يصوره بشعره كمشهد سينمائي متكامل من احداث وزمان ومكان وشخصيات وحركة ولون وصوت.

والملاحظ على المشهد أن البحتري كانت عدسته التصويرية مسلطة على الأسد أكثر من الفتح, الذي لم يَظْهر إلا في تصديه للأسد وإصراره على قتله, وعدم سماحه له بالفرار, وقد يكون ذلك راجعًا إلى أن معظم

قصيدته ترتكز على مدح الفتح, فجعل المشهد الخاص بالمعركة مسلطًا على الأسد, وهو في النهاية يأتي تأكيدًا لشجاعة الفتح, فيكون وسيلة طريفة للمدح.

ومن الظواهر البلاغية والأسلوبية في المشهد:

قدرة البحتري على التنقُّل بالضمائر بين الغائب والمخاطب والمتكلم, وهو تحول أسلوبي يسميه البلاغيون أسماء عديدة, منها الالتفات, فابن رشيق يقول: "وقد أحسن ابن المعتز في العبارة عن الالتفات بقوله: "هو انصراف المتكلم من الإخبار إلى المخاطبة ومن المخاطبة إلى الإخبار" وتلا قوله تعالى: "حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ".[46]

ففي قوله:

غَـــــــداةَ لَقيـــــــتَ اللَيـــــــثَ وَاللَيـــــــثُ مُخـــــــدِرٌ

يُحَـــــــــدِّدُ نابًـــــــــا لِلِّقـــــــــاءِ وَمَخلَبـــــــــا

يبدأ بالخطاب (لقيتَ) ثم يتحول للحديث عن الأسد (يحدد نابًا), ويستمر في وصفه خلال خمسة أبيات, ثم يعود للمخاطب (الفتح), بقوله:

وَمَـــــن يَبـــــغِ ظُلمًـــــا فـــــي حَريمِـــــكَ يَنصَـــــرِف

إِلـــــى تَلَـــــفٍ أَو يُـــــثنَ خَزيـــــانَ أَخيَبـــــا

ثم يتدخل بصوته (ضمير المتكلم) في المشهد, بقوله:

شَـــــهِدتُ لَقَـــــد أَنصَـــــفتَهُ يَـــــومَ تَنبَـــــري

لـــــه مُصـــــلِتًا عَضـــــبًا مِـــــنَ البـــــيضِ مِقضَـــــبا

ومن الظواهر الأسلوبية والبلاغية أيضًا:

الجمع بين المقابلة والمماثلة:

المقابلة, وهي: "ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه, وأكثر ما تجئ المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة"[47]

أما المماثلة فهي الموازنة التي كون كُلُّ مَا في إحدَى الفقرتين المقترنتين أو مُعْظَمُه مِثْلَ مُقابِلِه من الفقرة الأُخرى في الوزن"[48].

وهذا أعطى ثراءً موسيقيًّا, وتناغمًا, وإيقاعًا حركيًّا في الكر والفر, وفي الإقدام والإحجام, وذلك في قوله:

فَـــــأَحجَمَ لَمّـــــا لَـــــم يَجِـــــد فيـــــكَ مَطمَعًـــــا

وَأَقـــــدَمَ لَمّـــــا لَـــــم يَجِـــــدْ عَنـــــكَ مَهرَبـــــا

فَلَـــــم يُغْنِـــــهِ أَن كَـــــرَّ نَحـــــوَكَ مُقـــــبِلاً

وَلَـــــم يُنْجِـــــهِ أَنْ حـــــادَ عَنـــــكَ مُنَكِّبـــــا

يظهر ذلك في الجدول الآتي:

الكلمة	مقابلها ومماثلها
فأحْجَمَ	وأَقْدَمَ
لمَّا	لمَّا
لَمْ يَجدْ	لَمْ يَجِدْ
فِيكَ	عَنْكَ
مَطْمعًا	مَهْرَبًا

فلم يغنه	فلم ينجه
أَن كَرَّ	أَنْ حادَ
نَحوَكَ مُقبِلاً	عَنكَ مُنَكِّبا

ومن الظواهر الأسلوبية:

استخدام أفعل التفضيل في الموازنة بين الممدوح والأسد:

أَخيَبا – أمضى – أشغبا – أصدق – أغلب – أغلبا

زمن تلك الظواهر, استخدام الفعل المضارع حين وصف الأسد في قوته وسيطرته وانطلاقه قبل لقاء الفتح:

يحدد – يحصنه – يلاعب – يجر.

واستخدام الفعل الماضي في للأسد أثناء المعركة, تأكيدًا لهزيمته وانتهاء حياته:

أدلّ – رآك – أحجم – كرَّ –

والفعلان (لم يغنه, ولم ينجه) اللذين انقلب زمنهما ماضيًا بـ"لم"

وكذلك استخدام الماضي للممدوح الذي خرج من المواجهة منتصرًا:

حملت – انثنى – ارتدت – نبا

الرؤية الفنية لتوظيف الأسد في المدح عند المتنبي:

قال المتنبي في وصف العركة بين الأسد وبدر بن عمار بن إسماعيل:

أَمُعَفِّـــــــــرَ اللَيـــــــــثِ الهِزَبـــــــــرِ بِسَـــــــــوطِهِ

لِمَـــــــــنِ اِدَّخَـــــــــرتَ الصـــــــــارِمَ المَصـــــــــقولا

وَقَعَـــــــــتْ عَلـــــــــى الأُرْدُنِّ مِنـــــــــهُ بَلِيَّـــــــــةٌ

نُضِـــــــــدَت بِهـــــــــا هـــــــــامُ الرِفـــــــــاقِ تُلـــــــــولا

وَردٌ إِذا وَرَدَ البُحَيـــــــــــــــــــــرَةَ شـــــــــــــــــــــارِبًا

وَرَدَ الفُـــــــــــــــــراتَ زَئيـــــــــــــــــرُهُ وَالنـــــــــــــــــيلا

مُتَخَضِّـــــــــــبٌ بِـــــــــــدَمِ الفَـــــــــــوارِسِ لابِـــــــــــسٌ

فـــــــي غيلِـــــــهِ مِـــــــن لِبدَتَيـــــــهِ غـــــــيلا

مـــــــا قولِـــــــت عَينـــــــاهُ إلّا ظُنَّتـــــــا

تَحـــــــتَ الـــــــدُجى نـــــــارَ الفَريـــــــقِ حُلـــــــولا

فـــــــي وَحـــــــدَةِ الرُهبـــــــانِ إلّا أَنَّـــــــهُ

لا يَعـــــــرِفُ التَحـــــــريمَ وَالتَحلـــــــيلا

يَطَـــــــأُ الثَـــــــرى مُتَرَفِّقًـــــــا مِـــــــن تِيهِـــــــهِ

فَكَأَنَّـــــــهُ آسٍ يَجُـــــــسُّ عَلـــــــيلا

وَيَـــــــرُدُّ عُفرَتَـــــــهُ إِلـــــــى يافوخِـــــــهِ

حَتّـــــــى تَصـــــــيرَ لِرَأسِـــــــهِ إِكلـــــــيلا

وَتَظُنُّـــــــهُ مِمّـــــــا يُزَمجِـــــــرُ نَفسُـــــــهُ

عَنهـــــــا لِشِـــــــدَّةِ غَيظِـــــــهِ مَشـــــــغولا

قَصَـــــــرَت مَخافَتَـــــــهُ الخُطـــــــى فَكَأَنَّمـــــــا

رَكِـــــــبَ الكَمِـــــــيُّ جَـــــــوادَهُ مَشـــــــكولا

أَلقـــــــى فَريسَـــــــتَهُ وَبَربَـــــــرَ دونَهـــــــا

وَقَرُبـــــــتَ قُربًـــــــا خالَـــــــهُ تَطفـــــــيلا

فَتَشـــــــــابَهُ الخُلُقـــــــانِ فـــــــي إقدامِـــــــهِ

وَتَخالَفـــــا فـــــي بَـــــذْلِكَ المَـــــأكولا

أَسَـــــدٌ يَـــــرى عُضـــــوَيهِ فيـــــكَ كِلَيهِمـــــا

مَتنًـــــــــا أَزَلَّ وَســـــــــاعِدًا مَفتـــــــــولا

فـــــي سَـــــرجِ ظامِئَـــــةِ الفُصـــــوصِ طِمِـــــرَّةٍ

يَـــــأبى تَفَرُّدُهـــــا لَهـــــا التَمثـــــيلا

نَيّالَـــــــةِ الطَلَبـــــاتِ لَـــــولا أَنَّهـــــا

تُعطـــــي مَكـــــانَ لِجامِهـــــا مـــــا نـــــيلا

تَتـــــــدى سَـــــــوالِفُها إِذا اِستَحضَـــــــرتَها

وَيُظَـــــــنَّ عَقـــــــدُ عِنانِهـــــــا مَحلـــــــولا

مـــــا زالَ يَجمَـــــعُ نَفسَـــــهُ فـــــي زَورِهِ

حَتّـــــى حَسِـــــبتَ العَـــــرضَ مِنـــــهُ الطـــــولا

وَيَـــــدُقُّ بِالصَـــــدرِ الحِجـــــارَ كَأَنَّـــــهُ

يَبغـــــي إِلـــــى مـــــا فـــــي الحَضـــــيضِ سَـــــبيلا

وَكَأَنَّـــــــــــهُ غَرَّتـــــــــــهُ عَـــــــــــينٌ فَـــــــــــاِدَّنى

لا يُبصِـــــــــــرُ الخَطـــــــــــبَ الجَليـــــــــــلَ جَلـــــــــــيلا

أَنَـــــــــفُ الكَـــــــــريمِ مِـــــــــنَ الدَنِيَّـــــــــةِ تـــــــــارِكٌ

فـــــــــي عَينِـــــــــهِ العَـــــــــدَدَ الكَثيـــــــــرَ قَلـــــــــيلا

وَالعـــــــــارُ مَضّـــــــــاضٌ وَلَـــــــــيسَ بِخـــــــــائِفٍ

مِـــــــن حَتفِـــــــهِ مَـــــــن خـــــــافَ مِمّـــــــا قـــــــيلا

سَـــــــــبَقَ اِلتِقاءَكَـــــــــهُ بِوَثبَـــــــــةِ هـــــــــاجِمٍ

لَـــــــو لَـــــــم تُصـــــــادِمْهُ لَجـــــــازَكَ مـــــــيلا

خَذَلَتـــــــــهُ قُوَّتُـــــــــهُ وَقَـــــــــد كافَحتَـــــــــهُ

فَاستَنصَـــــــــــرَ التَســـــــــــاليمَ وَالتَجـــــــــــديلا

قَبَضَـــــــــت مَنِيَّتُـــــــــهُ يَدَيـــــــــهِ وَعُنقَـــــــــهُ

فَكَأَنَّمـــــــــــا صـــــــــــادَفتَهُ مَغلـــــــــــولا

سَـــــــمِعَ اِبـــــــنُ عَمَّتِـــــــه بِـــــــهِ وَبِحالِـــــــهِ

فَنَجـــــــا يُهَـــــــرولُ مِنـــــــكَ أَمـــــــسِ مَهـــــــولا

وَأَمَـــــــرٌّ مِمّـــــــا فَـــــــرَّ مِنـــــــهُ فِـــــــرارُهُ

وَكَقَتلِـــــــــــــهِ أَن لا يَمـــــــــــــوتَ قَتـــــــــــــيلا

تَلَـــــــفُ الَّـــــــذي اِتَّخَـــــــذَ الجَـــــــراءَةَ خُلَّـــــــةً

وَعَـــــــظَ الَّـــــــذي اِتَّخَـــــــذَ الفِـــــــرارَ خَلـــــــيلا

يبدأ المتنبي المشهد بإدهاش معنوي وأسلوبي, فالمعنى تأتي غرابته ودهشته في استعمال السوط في مقاتلة الأسد, والإدهاش الأسلوبي, في أسلوبي الإنشاء اللذين اتكأ عليهما المتنبي في إبراز الاستغراب والاندهاش, وذلك:

- بالنداء, في قوله: (أَمُعَفِّرَ اللَيثِ الهِزَبرِ بِسَوطِهِ):

باستخدام الهمزة التي تدل على القرب, وكأن المتنبي يقترب من البدر اقترابًا جسديًّا بجانب اقترابه منه محبةً, وكأن الدهشة تدفعه إلى القرب أكثر للاستفسار وحب المعرفة ومعرفة السر, ويأتي التركيب الإضافي للمنادى (أمُعَفِّرَ اللَيثِ) وكأنه صار شهرة لصاحبه, ثم يأتي الإنشاء الآخر ليزيد الإدهاش:

- بالاستفهام: (لِمَنِ اِدَّخَرتَ الصارِمَ المَصقولا؟)

فالغرابة تكمن في أن الممدوح الذي استخدم السوط في مقاتلة الأسد, يحمل سيفًا مصقولا, ودهشة المتنبي في أن هذا السيف متى تكون إليه الحاجة في القتال إن لم تكن في هذا الموقف الرهيب لمقاتلة الأسد الضاري شديد البأس.

والمتنبي لا يرتب عشوائيًّا, فهو (مَن هو) في شعره وفي مدحه, إنه يجعل من سيف ابن عمار سلاحًا عزيزًا لا يُستخدم إلا فيما هو غير عاديّ (وكأن قتال الأسد أمر عادي عنده), ومهَّد لقيمة ذلك السيف في الأبيات السابقة للمقطع:

وَكَـــــــأَنَّ بَرقًـــــــا فـــــــي مُتـــــــونِ غَمامَـــــــةٍ

هِندِيُّـــــــــهُ فـــــــــي كَفِّـــــــــهِ مَســـــــــلولا

وَمَحَـــــــــلُّ قائِمِـــــــــهِ يَســـــــــيلُ مَواهِبًـــــــــا

لَـــــو كُـــــنَّ سَـــــيْلاً مـــــا وَجَـــــدْنَ مَســـــيلا

رَقَّـــــــت مَضـــــــارِبُهُ فَهُـــــــنَّ كَأَنَّمـــــــا

يُبـــــــدينَ مِـــــن عِشـــــقِ الرِقـــــابِ نُحـــــولا

وقد يظن ظانٌّ أن الأسد الذي لا يستحق أن يجرد له هذا الفارس سيفه, واكتفى بسوطه, قد يكون أسدًا ضعيفًا أو مريضًا, فتأتي الأبيات تتوالى في وصف ذلك الأسد الرهيب.

وكما رأينا عند البحتري وصف الأسد في يومياته قبل أن يصف المعركة, نجد أن المتنبي قد فعل ذلك, فهو أسد حصلت منه بلايا، فقد نضدت في الأردن هامات أهل الرفقة تلولا، من كثرة ما افترس من الناس, وهو أسد وردٌ يضرب لونه إلى الحمرة, ذو زئير مرعب, فعندما يرد بحيرة "طبرية" شاربًا ويزأر, عندها يفر من أراد ورود الفرات والنيل على بعد المسافة التي تمتد مئات الأميال, وهو لكثرة ما افترس مختضبٌ من دماء الفوارس، ومنظره مهيب, فكأنه كان لابس أجمةٍ من كثرة وبَرِه, وبريق عينيه أشبه بالنار في الظلمة.

إن هذا الأسد منفرد في أجمة عن الناس، كالرهبان الذين ينفردون عن الناس، غير أنه لا يعرف التحريم والتحليل وهم يعرفون ذلك, ويمشي على التراب، بالرفق، فكأنه طبيب يجس عليلاً؛ وينفش وبَرَه حتى يصير شعر رقبته على رأسه، مثل الإكليل؛ وتدل كثرة زمجرته على اشتغاله عن نفسه بغيظه.

لقد قطع الطرق, فالفارس الكمي يهيج فرسه للإقدام جرأة، والفرس يحجم عنه خوفًا منه، فكأنه ركب فرسه مشكولاً, فلا يجسر الفرس أن يجري، فكأن خوفه صار قيدًا.

هذا هو الأسد المرعب المخيف, وتلك هي سيرته مع الفرسان, فما بالنا بمن ليسوا بفرسان يركبون الخيول, وبأيديهم أسلحتهم.

لقد وصف البحتري أسده في يومياته في ستة أبيات, بعد بيت الافتتاح للمشهد:

غَـــــداةَ لَقيـــــتَ اللَيـــــثَ وَاللَيـــــثُ مُخـــــدِرٌ

يُحَـــــــدِّدُ نابًـــــــا لِلِّقـــــــاءِ وَمَخلَبـــــــا

بينما ذكر المتنبي أسده في يومياته في ثمانية أبيات غير بيت افتتاح المشهد:

أَمُعَفِّـــــرَ اللَيـــــثِ الهِزَبـــــرِ بِسَـــــوطِهِ

لِمَـــــــــنِ اِدَّخَـــــــــرتَ الصـــــــــارِمَ المَصـــــــــقولا

وهو ما يدل على أن المتنبي ترسَّمَ خطى البحتري في الترتيب, وبناء المشهد.
وتبدأ المعركة بين ابن عمار والأسد بقول المتنبي:

أَلقـــــــــى فَريسَـــــــــتَهُ وَبَربَـــــــــرَ دونَهـــــــــا

وَقَرُبـــــــــتَ قُربًـــــــــا خالَـــــــــهُ تَطفـــــــــيلا

وإذا أردنا بناء المشهد دراميًّا, فنجد:

المكان:

أسد بريٌّ منفرد يأوي إلى أجمة, قرب بحيرة طبرية في الأردن, بينما أسد البحتري أسد في محمية للحيوانات.

الزمان:

لم يتضح في المشهد, ولكنه مشهد نهاري غير محدد التوقيت, بينما كان التوقيت عند البحتري في الصباح الباكر.

الشخصيات:

الأسد, وبدر بن عمار, الفرس التي يمتطيها بدر بن عمار.

الأحداث:

أسد يأكل فريسته, بينما يظهر فارس يدنو من الأسد الذي يرفع رأسه رامقًا بعينيه المتوقدتين هذا الجريء الذي جاء يتطفل يشاركه الفريسة, فزمجر الأسد, فتشابه الأسد والفارس/ بدر في الإقدام, وكان إقدام بدر في أنه يجود بفريسته, بينما الأسد يبخل بها فيدافع عنها, لكن الأسد رأى في ذلك الفارس متنه الأزل الرشيق، وساعده المفتول, ويتعجب من فرسه اللطيفة الأوصال التي ليس لها مثيل فهي تدرك كل ما تطلبه, وهي طويلة العنق، فلولا أنها تمكن ملجمُها من رأسها ما وصل إليها, مبتلة من العرق, وسريعة ومنطلقة كأنها بدون لجام يحكمها, والأسد يجمع نفسه في صدره للوثبة، حتى بدا كأن عرضه طوله, يدق الحجارة بصدره استعدادًا للوثوب، حتى كأنه يريد أن يشقها ويغوص فيها, وغرته عينه حين رأى بدرًا إنسانًا كسائر الناس سهلاً افتراسه, فأقدم عليه أنفةً من الفرار, فهو يرى الأمر هينًا لعلو همته, ولما رأى بدرًا غير هياب وتقرب

منه بادره بوثبة رهيبة، فلولا أنه صادمه لجازه ميلاً؛ لشدتها, فخذلته قوته، فاستسلم، وسقط على الأرض, وكأنه مغلولٌ لا يمكنه المدافعة.

وفي جانب آخر ينتقل المشهد على أسد آخر يولي فرارًا بعيدًا عن المكان الذي قتل فيه زميله.

لقد كان المتنبي معلقًا على الحدث أكثر منه واصفًا إلا في استعراضه وصف الأسد في حياته البرية, بوصف شكله وعينيه ووبره, وقوة زئيره, وشدة فتكه.

بينما في الجزء الذي اختص بالمواجهة بين ابن عمار والأسد فقد كان معلقًا, وكأنه يشرح مشهدًا مصورًا, ويظهر ذلك في:

- تخيله ما يدور في نفس الأسد, مما جعله يستخدم الكلمات الدالة على التخيل, مثل: (كأنه, تظنه, خاله, رأى, حسبته).
- كثرة الحكمة التي يستخلصها المتنبي من الأحداث, مثل:

أَنَـــــــفُ الكَـــــــريمِ مِـــــــنَ الدَنِيَّـــــــةِ تـــــــارِكٌ

فـــــــي عَينِـــــــهِ العَـــــــدَدَ الكَثيـــــــرَ قَلـــــــيلا

.....

وَالعـــــــارُ مَضّـــــــاضٌ وَلَـــــــيسَ بِخـــــــائِفٍ

مِـــــــن حَتفِـــــــهِ مَـــــــن خـــــــافَ مِمّـــــــا قـــــــيلا

.....

وَأَمَـــــــرٌّ مِمّـــــــا فَـــــــرَّ مِنـــــــهُ فِـــــــرارُهُ

وَكَفَتلِـــــــهِ أَن لا يَمـــــــوتَ قَتـــــــيلا

.....

تَلَـــــــفُ الَّـــــــذي اِتَّخَـــــــذَ الجَـــــــراءَةَ خُلَّـــــــةً

وَعَـــــظَ الَّـــــذي اِتَّخَـــــذَ الفِـــــرارَ خَلـــــيلا

- وصف فرس بدر بن عمار في ثلاثة أبيات هي:

فـــــي سَـــــرجِ ظامِئَـــــةِ الفُصـــــوصِ طِمِـــــرَّةٍ

يَـــــأبى تَفَرُّدُهـــــا لَهـــــا التَمثـــــيلا

نَيّالَـــــةِ الطَلَبـــــاتِ لَـــــولا أَنَّهـــــا

تُعطـــــي مَكـــــانَ لِجامِهـــــا مـــــا نـــــيلا

تَنـــــدى سَـــــوالِفُها إِذا اِستَحضَـــــرتَها

وَيُظَـــــنَّ عَقـــــدُ عِنانِهـــــا مَحلـــــولا

وكأنه أراد أن يطيل المشهد بهذه التعليقات, وبهذا الوصف الجميل للفرس, حتى ظن بعض شراح الديوان أن الأبيات الثلاثة بعد هذه الأبيات هي استكمال لوصف الفرس, وهي الأبيات التالية:

مـــــا زالَ يَجمَـــــعُ نَفسَـــــهُ فـــــي زَورِهِ

حَتّـــــى حَسِـــــبتَ العَـــــرضَ مِنـــــهُ الطـــــولا

وَيَـــــدُقُّ بِالصَـــــدرِ الحِجـــــارَ كَأَنَّـــــهُ

يَبغـــــي إِلـــــى مـــــا فـــــي الحَضـــــيضِ سَـــــبيلا

وَكَأَنَّـــــــــهُ غَرَّتـــــــــهُ عَـــــــــينٌ فَـــــــــادَّنى

لا يُبصِـــــــــرُ الخَطـــــــــبَ الجَليـــــــــلَ جَلـــــــــيلا

ومن هؤلاء أبو العلاء المعري في "مُعْجِزه", فقال:

" ما زال يجمع نفسه (يقصد الأسد) في صدره للوثبة، حتى حسبت عرضه، طولاً, وقيل: أراد أن الفرس إذا أراد الوثوب ضم نفسه إلى صدره"[49], وهو – أي الرأي الثاني– تفسير بعيد إذ إن المتنبي ذكر الفرس مؤنثة في قوله: ظامِئَةِ, طِمِرَّةٍ, تَفَرُّدُها, أَنَّها .. بينما استخدم التذكير في الأبيات التالية, حيث عاد للحديث عن الأسد, فقال: نَفسَهُ, زَورِهِ, مِنهُ, كَأَنَّهُ ..

ملاحظات على المشهد:

- كان إيقاع المشهد هادئًا بطيئًا, ولعل مرجع ذلك – كما ذُكِر من قبل – هو تدخل المتنبي بتعليقاته, واهتمامه بصياغة الحكمة, وجنوحه إلى وصف الفرس.
- عدم دقة وصف المكان, وعدم تحديد الوقت جعل المشهد يفتقد كثيرًا من ملامحه الدرامية.
- لم يتضح في الأبيات كيفية مقتل الأسد, ففي بدايته ذكر أن بدر بن عمار عفره بسوطه, وهو لا يمكن القتل به, وكيف تصدى بدر لوثبة الأسد الرهيبة, هل بالسيف أم مجرد صدٍّ جسدي مما أطاح بالأسد مستسلمًا, ولم يرد ذكر لتدخل الجيش كما ورد في كلام الشراح.
- أراد المتنبي إضافة بُعْد طريف على الحدث, ولعله أضافه من خياله, وهو ما أعطى الأبيات حركة درامية بانتقال المشهد من معركة بدر وأسده إلى أسد آخر – لم يكن موجودًا في الحدث – يهرب مهزومًا دون قتال خوفًا من مصير ابن خاله في علاقة القرابة الطريفة التي اختلقها المتنبي بقوله: (سمع ابن عمته ..)

وتزيد الطرفة باستخدام الفعل (سمع) لا (رأى), وكأنها رسالة يوجهها المتنبي لأعداء بدر بن عمار الذين يسمعون عن أنباء انتصاراته في معاركه, ويؤكد ذلك الختام العبقري الذي به معنى تنقُّل الأخبار ببطولة بدر وشجاعته:

نَطَقَـــــــــتْ بِسُـــــــــؤدُدِكَ الحَمـــــــــامُ تَغَنِّيَـــــــــا

وَبِمـــــــــا تُجَشِّـــــــــمُها الجِيـــــــــادُ صَـــــــــهيلا

مـــــــا كُـــــــلُّ مَـــــــن طَلَـــــــبَ المَعـــــــالِيَ نافِـــــــذًا

فيهـــــــــا وَلا كُـــــــــلُّ الرِجـــــــــالِ فُحـــــــــولا

إنها القدرة التي وُهِبها المتنبي على جعل مديحه يرتبط بالبطولة والفروسية, ولكن لا يغيب عنه الغرض الأساسي من المدح, وهو التكسب, وطلب المال, ولو كانت بأسلوب غير مباشر:

لَـــــو كـــــانَ مـــــا تُعطِـــــيهِمِ مِـــــن قَبـــــلِ أَن

تُعطِـــــــــيهِمِ لَـــــــــم يَعرِفـــــــــوا التَـــــــــأميلا

ومن الظواهر الأسلوبية والبلاغية:

أكثر المتنبي من المجانسة, مثل:

ورْدٌ – ورد

غيله – غيلا

نيالة – نيلا

خائف – خاف

وذلك لتوليد موسيقى تسري في النص لتخفيف الصرامة في وصف المشهد.

وأكثر كذلك من المطابقات, مثل:

التحريم – التحليل

آسٍ – عليلاً

تشابه – تخالف

وهذه المطابقات تعطي حيوية للأسلوب وتزيد المعنى قوة ووضوحًا.

استخدم المتنبي (كأنَ) للتخيل ليضفي الطرافة وإظهار الشخصية الشعرية له, في:

قَصَـــــــــرَت مَخافَتَـــــــــهُ الخُطـــــــــى فَكَأَنَّمـــــــــا

رَكِـــــــــبَ الكَمِـــــــــيُّ جَـــــــــوادَهُ مَشـــــــــكولا

وفي قوله:

وَكَأَنَّـــــــــهُ غَرَّتـــــــــهُ عَـــــــــينٌ فَـــــــــاِدَّنى

لا يُبصِـــــــــرُ الخَطـــــــــبَ الجَليـــــــــلَ جَلـــــــــيلا

وفي قوله:

وَيَـــــــــدُقُّ بِالصَـــــــــدرِ الحِجـــــــــارَ كَأَنَّـــــــــهُ

يَبغـــــــي إِلـــــــى مـــــــا فـــــــي الحَضـــــــيضِ سَـــــــبيلا

واستخدمها في تشبيه التمثيل في قوله:

يَطَـــــــأُ الثَـــــــرى مُتَرَفِّقًـــــــا مِـــــــن تِيهِـــــــهِ

فَكَأَنَّـــــــــــــهُ آسٍ يَجُـــــــــــــسُّ عَلـــــــــــــيلا

وفي قوله:

قَبَضَـــــــــت مَنِيَّتُـــــــــهُ يَدَيـــــــــهِ وَعُنقَـــــــــهُ

فَكَأَنَّمـــــــــــا صـــــــــــادَفتَهُ مَغلـــــــــــولا

كما استخدم المتنبي أفعالًا دالة على التخيل والظن في قوله::

مـــــــــا قوبِلَـــــــــت عَينـــــــــاهُ إِلّا ظُنَّتـــــــــا

تَحـــــــتَ الـــــــدُجى نـــــــارَ الفَريـــــــقِ حُلـــــــولا

وقوله:

وَتَظُنُّـــــــــهُ مِمّـــــــــا يُزَمجِـــــــــرُ نَفسُـــــــــهُ

عَنهـــــــــا لِشِـــــــــدَّةِ غَيظِـــــــــهِ مَشـــــــــغولا

وقوله:

تَنـــــــــدى سَـــــــــوالِفُها إِذا اِستَحضَـــــــــرتَها

وَيُظَـــــــــنَّ عَقـــــــــدُ عِنانِهـــــــــا مَحلـــــــــولا

وقوله:

مـــــــــا زالَ يَجمَـــــــــعُ نَفسَـــــــــهُ فـــــــــي زَورِهِ

حَتّـــــــى حَسِـــــــبتَ العَـــــــرضَ مِنـــــــهُ الطـــــــولا

وهذه التعليقات والتدخلات التخيلية هي مزاحمة المتنبي للمشهد, ليكون هو بطلًا شعريًّا يتوازى فيه مع بطلي المشهد, ابن عمار والأسد.

خلاصة البحث:

- يعكس النصان قدرات كلا الشاعرين في توظيف الأحداث الغريبة في المدح, لأن المدح بواقع الأحداث أمر يعتاده الشعراء, ويتعوده الممدوحون, ولكن النصين يتبعان أسلوبًا جديدًا وهو توظيف مقاتلة الأسد في المديح, دلالة على الشجاعة والإقدام.
- لم ينكر أحد من مؤرخي الأدب, ومن معاصري الشاعرين وقوع الحادثتين – مع غرابتهما –
- كان للبحتري السبق في هذا المجال بحكم قِدَمِه التاريخي, ولذلك اقتفى المتنبي خطواته في ترتيب الأحداث, بل ترتيب قصيدته أيضًا على غرار قصيدة البحتري.
- كان البحتري أسرع إيقاعًا وأدق إحكامًا للمشهد الدرامي, من حركة وتصوير المكان وتحديد الزمان, وسرعة المعركة, وهذا هو الطبعي بمعركة بين فارس وأسد, فبعد هجمة (واحدة) سيكون أحدهما قاتلًا والآخر قتيلًا, أو يقتلان بعضيهما في اللحظة نفسها, كما كانت صورُه اللونية والصوتية أكثر وضوحًا.
- قام المتنبي بدور المصور والمعلق على مشهده الدرامي الذي اتسم بالبطء, ولم يُحكم فيه النهاية, إذ جعل استسلام الأسد للهزيمة والقتل بدون مبرر واضح, كما استثمر المتنبي المشهد في توليد الحكمة التي هي من أهم مظاهر شعره.
- امتاز المتنبي بإضافة بعد من خلال مشهد جانبي, هو مشهد الأسد الهارب, متخذًا منه رمزًا لأعداء ممدوحه ابن عمار الذين ينهزمون أمامه دون قتال بسماعهم عن انتصاراته وشجاعته.
- يعكس كل نص منهج كلا الشاعرين, إذ يتسم البحتري بالرقة والدقة في الوصف والتصوير, وسهولة المعاني, والموسيقى المنسابة, بينما المتنبي يتسم بقوة التركيب, وغرابته أحيانًا كقوله:

وَتَظُنُّـــــــــــهُ مِمّـــــــــــا يُزَمجِـــــــــــرُ نَفسُـــــــــــهُ

عَنهـــــــــــا لِشِـــــــــــدَّةِ غَيظِـــــــــــهِ مَشـــــــــــغولا

الزمجرة: ترديد الصوت في الصدر, والهاء في عنها: للنفس, وتقديره مشغولاً عنها, وتظنه: يتعدى إلى مفعولين: أحدهما: الهاء في تظنه، والثاني: مشغولا, ونفسه قد تكون بدلاً عن الهاء في (تظنه) منصوبًا, وقد تكون توكيدًا للضمير المستتر الفاعل وتقديره (هو), فهو يقول: تظن هذا الأسد مشغولاً عن نفسه بشدة غيظه، من كثرة ما يزمجر. أي تدل كثرة زمجرته على اشتغاله عن نفسه بغيظه, وروى: تزمجر بالتاء. ونفسه: بالرفع، على أن تكون نفسه فاعلة تزمجر.

ومثل هذه التراكيب لا نجدها عند البحتري.

كما يعكس نص المتنبي منهجه الأثير في استخلاص الحكمة التي تتفجر في النص.

- أكثر المتنبي من تخيلاته, وهي تخيلات تمنح النص فخامة وتثريه بلاغيًّا, إلا أنه كانت بمثابة تدخلات أعطت المشهد بطئًا وتقييدًا للحركة.
- هذه المشاهد الدرامية في الشعر القديم, وترتيب القصيدة قبلها وبعدها يؤكد وجود الوحدة العضوية من وحدة موضوع ووحدة جو نفسي في شعرنا القديم, وليست وليدة العصر الحديث.
- النصان يعكسان حرص الشعراء على عناصر التشويق بسرد غرائب البطولة لممدوحيهم, مازجين بين الواقع والخيال غير البعيد عن البيئة.
- يفتح النصان أبوابًا للبحث عن دلالة الحيوان في الشعر العربي.

المصادر والمراجع:

- أسماء الأسد, الن خالويه (ت: 370هـ) تحقيق: د. محمود جاسم الدرويش, مؤسسة الرسالة, بيروت, ط2, 1989م.
- الأعلام, خير الدين الزركلي, (ت: 1396هـ) دار العلم للملايين, ط15, 2002م.
- البداية والنهاية, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت. 774هـ) تحقيق: علي شيري, دار إحياء التراث العربي, ط1, 1988م.
- البلاغة العربية, عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة, دار القلم, بيروت, ط1,، 1416 هـ - 1996م.
- البيان والتبيين, أبو عمرو بن بحر الجاحظ, تحقيق وشرح عبد السلام هارون, الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة, سلسلة الذخائر رقم 85, ط1, 2003, القاهرة.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب, د. إحسان عباس, ط4 1983م, دار الثقافة، بيروت.
- تكملة تاريخ الطبري, محمد بن عبد الملك أبو الحسن الهمذاني المعروف بالمقدسي (ت: 521هـ) تحقيق: ألبرت يوسف كنعان, الناشر: المطبعة الكاثوليكية – بيروت, ط1، 1958.
- ديوان ابن الرومي, شرح الأستاذ أحمد حسن بسج, دار الكتب العلمية, بيروت, ط3, 2013م.
- ديوان الأعشى, دار صادر, بيروت, بدون.
- ديوان البحتري, عُني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي, دار المعارف القاهرة, ط3, 1963م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى, دار صادر, بيروت, بدون تاريخ.

- ديوان شيخ شعراء العربية أبي الطيب المتنبي, د. عبد المنعم خفاجي, سعيد جودة السحار, د. عبد العزيز شرف, مكتبة مصر, القاهرة, 1994م.
- ديوانا عروة بن الورد والسموأل, دار صادر, بيروت, بدون تاريخ.
- سير أعلام النبلاء, شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ), دار الحديث- القاهرة, 1427هـ-2006م.
- شرح المعلقات السبع, حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله (المتوفى: 486هـ), دار احياء التراث العربي, الطبعة: الأولى 1423هـ - 2002 م, القاهرة.
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (معجز أحمد) لأبي العلاء المعري (ت. 449هـ) تحقيق: د. عبد المجيد دياب, سلسلة الذخائر (240) الهيئة العامة لقصور الثقافة, مصر, 2018م
- شرح ديوان المتنبي, عبد الرحمن البرقوقي, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة, 2014م
- شرح شافية ابن الحاجب للشيخ ضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي, مع شرح شواهده, عبد القادر البغدادي (ت. 1093هـ) تحقيق: محمد نور الحسن, محمد الزفزاف, محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الكتب العلمية, 1982م, بيروت.
- شعر أبي زبيد الطائي حرملة بن المنذر, المتوفى (41هـ), جمع وتحقيق د. نوري حمودي القيسي, مطبعة المعارف, بغداد, 1967م.
- شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي, جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي, مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق, ط2, 1985م.
- صورة الأسد في شعر أبي زبيد الطائي- دراسة نقدية, د. صلاح عبد الحافظ, دار المعارف, ط1, 1992, القاهرة.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه, ابن رشيق القيرواني, تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الجيل, بيروت, الطبعة: الخامسة، 1401 هـ - 1981م
- لسان العرب, جمال الدين ابن منظور (ت711هـ) دار صادر – بيروت, ط3 - 1414 هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر, ضياء الدين بن الأثير, (المتوفى: 637هـ), تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة, دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.
- مختار الصحاح, محمد بن أبي بكر الرازي (المتوفى: 666هـ), تحقيق: يوسف الشيخ محمد, المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا, الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م

- معجم أسماء الأسد, هزاع بن عيد الشمري, دار أمية للنشر والتوزيع, ط1, 2010, الرياض.
- معجم البلدان, ياقوت الحموي, (ت: 626هـ), دار صادر، بيروت, ط2، 1995م.
- المفضليات, المفضل بن محمد بن يعلي الضبي, تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر, وعبد السلام هارون, دار المعارف, ط7, 1983م, القاهرة.
- مقامات الهمذاني, أبو الفضل بديع الومان الهمذاني, شرح وتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, 2002.
- الوافي بالوفيات, صلاح الدين الصفدي, (ت: 764هـ), تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى, دار إحياء التراث – بيروت, 2000م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, ابن خلكان (ت: 681هـ), تحقيق: د. إحسان عباس, ط1, 1994م, دار صادر – بيروت

مجلات علمية:

- مجلة الجامعة العراقية, , دراسة بعنوان (حدائق الحيوانات في التراث الإسلامي) للدكتورة حنان أحمد عبد العزيز السامرائي, العدد: 48.
- مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية, العدد الأول, 2019م.
- مجلة معهد المخطوطات العربية 1983م, العراق.

مواقع إليكترونية:

- صحيفة المثقف https://www.almothaqaf.com
- موقع جريدة الأنباء الكويتية: https://www.alanba.com.kw/1145667
- موقع مجلة القافلة https://qafilah.com/ar/

الهوامش والتعليقات:

[1] ينظر (مختار الصحاح), مادة (شجع), ص: 161, (بتصرف)

[2] في نسبة هذا البيت يختلف الرواة, وفي ذلك, ينظر هامشا البيان والتبيين, جـ1, صفحة: 128, "لما دخل شبيب بن يزيد (26ه – 77) هو وزوجته غزالة على الحجاج في الكوفة تحصن الحجاج منها وأغلق عليه قصره, فكتب إليه عمران بن حطان – وكان الحجاج قد لجَّ في طلبه -:

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافرِ
هلاّ برزت إلى "غزالة" في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر

وفي هامش ص: 365: "هي غزالة الشيبانية ... وكانت من الشجاعة والفروسة بالموضع العظيم, وكان الحجاج قد هرب منها, فعيره أسامة بن سفيان العجلي بقوله:

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافرِ
هلاّ برزت إلى "غزالة" في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر

[3] من هؤلاء الذين كتبوا عن النصين: القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني في الوساطة, ابن الأثير في أدب الكاتب والشاعر, د. إحسان عباس في تاريخ النقد الأدبي عند العرب, د. فواز أحمد طوقان في مقالة له بعنوان: (البحتري في وصف منازلة الأسد) على موقع مجلة القافلة https://qafilah.com/ar/, د.يعقوب يوسف الغنيم, في مقالة طويلة بعنوان (الأسد في التراث العربي) على موقع جريدة الأنباء الكويتية: https://www.alanba.com.kw/1145667 , د.عدنان الظاهر في مقالة عن البحتري والمتنبي, نشر بتاريخ: 30 حزيران/يونيو 2009 على صحيفة المثقف https://www.almothaqaf.com , وغير ذلك من كتابات كان جلُّ توجهها إلى وصف الأسدين, والموازنة بين الشاعرين في الوصف, دون التركيز على توظيف ذلك في المديح, كما أن هناك دراسة لمحمد أحمد الحلحولي, بعنوان (الثابت والمتحول في مدحتي البحتري والمتنبي ووصفهما منازلة الأسد: دراسة تحليلية وموازنة) منشورة بمجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية, العدد الأول, 2019م, وأوضحت الدراسة أن حركة الصورة والحدث في القصيدتين تتجه إلى "الغلبة" بوصفها الجو المسيطر. وكانت صورة العزم على منازلة الشر والصراع للقضاء عليه. وربط القصيدتين بالعصر, (قراءة في أسديتي البحتري والمتنبي) ليونس أحمد السامرائي, نشر بمجلة معهد المخطوطات العربية 1983م, العراق,الصفحات (121 – 151).

المصدر: مجلة معهد المخطوطات العربية

[4] ينظر ديوان زهير بن أبي سلمى, ص: 84, دار صادر, وينظر, شرح المعلقات السبع للزوزني, ص: 146.

[5] ينظر, "المفضليات" , المفضلية رقم (30) ص: 155 وما بعدها), ويُروى: "معدوًّا", والعرس - بالكسر - : زوجة الرجل، ومُلَيكة بالتصغير والبيت من قصيدة لعبد يغوث الحارثي الجاهلي، قالها لما أسرته تيم الرباب, ينظر, شرح شافية ابن الحاجب - رضي الدين الأستراباذي - ج ٤ - الصفحة ٤٠١

[6] هو الدكتور صلاح عبد الحافظ في كتابه (صورة الأسد في شعر أبي زبيد الطائي- دراسة نقدية), ينظر ص: 14, وما بعدها.

[7] ينظر, ديوانا عروة بن الورد والسموأل, ص: 34, من قصيدة مطلعها:

تحن إلى سلمى بحُرّ بلادها وأنت عليها بالملا كنت أقدرا

وهنا ينتهي تقسيم الدكتور عبد الحافظ للاتجاهات الثلاثة, والاتجاهات التالية هي إضافة بحثنا هذا.

[8] ينظر, ديوان الأعشى, ,ص: 156, دار صادر.

وهي أبيات مطلعها:

قالت سميَّةُ: من مدَحْـــــــــت؟ فقلت: مسروق بن وائل

[9] ينظر ديوان أبي زبيد الطائي, ص: 65, والشموس: الصعب الخلق, المصلخد: المنتصب قائمًا, شثن: خشن وغليظ

[10] ينظر المقامات, المقامة البِشْرية, ص: 513, و قال الزركلي في الأعلام 2 - 55: "بشر بن عوانة العبدي: اسم اخترعه البديع الهمذاني، لشاعر، وضع له قصة خلاصتها: أنه عرض له أسد، وهو ذاهب يبتغي مهرا لابنة عم له، فثبت للاسد، وقتله، وخاطب أختا له سماها البديع (فاطمة) بقصيدة هي أروع ما قيل في موضوعها، مطلعها:

(أفاطم لو شهدت ببطن خبت ... وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا)

والقصيدة في مقامات البديع".

وفي تحقيقه لمقامات الهمذاني يقول العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد: "وقد نسب الرواةهذه الأبيات لعمرو بن معد يكرب الزبيدي, ولعله ارتكن في ذلك إلى أن خبْتًا إحدى قرى زُبيد, وفهم أن نسبة عمرو إليها, وهو خطأ, فإن نسبته إلى جماعة من العرب يُطلَق عليهم "بنو زبيد" كتب إلى أخته كبشة, وكان له ابنة عم اسمها لميس, ويقول فيها:

تظن لميس أن الليث مثلي وأقوى همةً وأشدَّ صبرا

لقد خابت ظنون لميس فيها وأضحى البرُّ خالي منه قفرا

ومطلع القصيدة على زعم هؤلاء الرواة:

أفاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

والصحيح أن الواقعتين مختلفتان, فوقع بينهما الاشتباه, وخلطت إحداهما بالأخرى .." ينظر هامش ص (525)

وقد نقل المحقق هذا الكلام عن الإمام محمد عبده, إذ أورد محقق ديوان عمرو بن معدي كرب هذه المقولة للإمام محمد عبده خلال شرح الشيخ لمقامات الهمذاني (ص: 250, طـ بيروت 1889م).. وأشار إلى نقل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد لكلام الشيخ محمد عبده, ص: 448من طبعته للمقامات 1923م بالقاهرة, ينظر ص: 203 وما بعدها من ديوان عمرو بن معدي كرب.

[11] ينظر ديوانه, ص: 202.

[12] ينظر, مقامات بديع الزمان, ص: 524, وفي ديوان عمرو بن معدي كرب, ص:202.

[13] المقامات, ص: 532 وما بعدها.

[14] ينظر. لسان العرب, مادة أسد, (72/3)

[15] ينظر, حياة الحيوان الكبرى (10/1)
[16] ينظر, أسماء الأسد, ص: 8.
[17] السابق (11/1)
[18] صدر عن دار أمية للنشر والتوزيع, 2010, الرياض.
[19] ينسب ابن الأثير هذه المقولة للمتنبي نفسه, فيقول: " وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه، فقال: "أنا وأبو تمام حكيمان, والشاعر البحتري" ولعمري إنه أنصف في حكمه، وأغرب بقوله هذا عن متانة علمه" ينظر, المثل السائر (13/1)
[20] ينظر, وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, (28/6)
[21] ينظر, السابق, (28/6), وينظر الوافي بالوفيات, (272/27) الذي اكتفى بالبيت الأول فقط, ولم أعثر على البيتين في ديوان ابن الرومي في النسخة التي حققها الأستاذ أحمد حسن بسج, عن دار الكتب العلمية.
[22] ينظر, البداية والنهاية (291/11)
[23] ينظر, الوافي بالوفيات (274/27)
[24] ينظر ديوان المتنبي, بتحقيق خفاجي والسحار وشرف, ص: 325, و326, أما في شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي عن مؤسسة هنداوي, فلا يوجد البيت الأول من الثلاثة, ينظر ص: 1228.
[25] ينظر المثل السائر, (14/1)
[26] السابق, (15/1)
[27] هو محقق الكتاب.
[28] السابق (15/1), وكان قد ذكر معهما أبا تمام, ولذلك قال "منهم" بصيغة الجمع.
[29] هو "الأَمِيْرُ الكَبِيْرُ الوَزِيْرُ الأَكْمَلُ, أَبُو مُحَمَّدٍ التُّرْكِيُّ, شَاعِرٌ, مُتَرَسِّلٌ, بَلِيْغٌ, مُفَوَّهٌ, ذُو سُؤْدُدٍ وَجُوْدٍ وَمَحَاسِنَ عَلَى لَعِبٍ فِيْهِ, وَكَانَ المُتَوَكِّلُ لاَ يَكَادُ يَصْبِرُ عَنْهُ, اسْتَوْزَرَهُ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ إِمْرَةَ الشام، فَبَعَثَ إِلَيْهَا نُوَّابًا عَنْهُ. وَلَهُ أَخْبَارٌ فِي الكَرَمِ وَالظَّرْفِ وَالأَدَبِ, وَكَانَ أَحَدَ الأَذْكِيَاءِ, دَخَلَ المُعْتَصِمُ عَلَى الأَمِيْرِ خَاقَانَ، فَمَازَحَ ابْنَهُ هَذَا، وَهُوَ صَبِيٌّ، فَقَالَ: يَا فَتْحُ, أَيُّمَا أَحْسَنُ: دَارِي أَوْ دَارُكُم? فَقَالَ الفَتْحُ: دَارُنَا إِذَا كُنْتَ فِيْهَا، فَوَهَبَهُ مائَةَ أَلْفٍ, وَكَانَ الفَتْحُ ذَا بَاعٍ أَطْوَلَ فِي فُنُوْنِ الأَدَبِ, قُتِلَ مَعَ المُتَوَكِّلِ سَنَةَ سَبْعٍ وأربعين ومئتين في سامراء".
ينظر سير أعلام النبلاء, 472/9.
[30] الديوان, 193. المزنَّد: شديد البخل.
[31] ينظر, الديوان, ص: 202.
[32] السابق (9/ 203)
[33] الديوان (196/1)
[34] أبو بكر محمد بن رائق الذي اتخذ من بدر قائدًا: "فقد ولي أبو بكر للمقتدر شرطة بغداد فطلع شهمًا عاليَ الهمة مقدامًا، فولي واسط والبصرة، فوفد عليه بجكم الأمير فاستخدمه، وترقّت حاله، فولاه الراضي بالله إمرة الأمراء في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وتقدم، وردت أمور المملكة إليه، وانحدر مع الخليفة إلى واسط, وجهز بجكمَ لمحاربة البريدي الوزير, ثم عصى عليه بجكمُ فتوجه محمد (أبو بكر) إلى الشام، فدخل دمشق، وادعى أن المتقي لله ولاه عليها، وطرد عنها بدرًا الإخشيدي، ثم ساق ليأخذ مصر، فالتقى هو وصاحبها محمد بن طغج الإخشيدي، فهزمه الإخشيدي.. ينظر سير أعلام النبلاء 326/15.
[35] ينظر, معجز أحمد, (117/2)
[36] ينظر السابق, هامش المحقق, (117/2)
[37] ينظر, الديوان, ت خفاجي وشرف, 237.

[38] ينظر, معجم البلدان (148/1).
[39] ينظر, معجز أحمد (161/2).
[40] ينظر, الديوان هامش (196/1)
[41] ينظر, الديوان هامش (2414/4)
[42] ينظر, دراسة بعنوان (حدائق الحيوانات في التراث الإسلامي) للدكتورة حنان أحمد عبد العزيز السامرائي, منشور بالعدد (48) (320/1) مجلة الجامعة العراقية.
[43] من قصيدته التي رثى بها المتوكل, ومطلعها:
مَحَلٌّ عَلى القاطولِ أَخلَقَ داثِرُه .. وَعادَت صُروفُ الدَهرِ جَيشاً تُغاوِرُهْ
ينظر ديوانه (1046/2)
[44] ينظر اللسان, مادة غدا (117/15)
[45] ينظر السابق, مادة (ليث), (ضرغم), (هَزْبر)
[46] ينظر, العمدة في محاسن الشعر وآدابه, جـ2, ص: 46', والآية الكريمة هي الآية 22 من سورة يونس.
المؤلف: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: 463 هـ)
[47] ينظر, السابق, جـ2, ص: 15
[48] ينظر, البلاغة العربية, عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة (المتوفى: 1425هـ), جـ2, ص: 512.

[49] ينظر, معجز أحمد (2/ 129).